

# جان بول سارتر



نائب امير كورن سولاي  
لوجمة - جورج كورن

جان ہول سارتر



آني كوهن سولال

# جان بول سارتر

جمة

ورج كتوره



*mohamed khatab*

دار الكتاب الجديد المتحدة

Original Title:

**Jean-Paul Sartre**

by Annie Cohen-Solal

Copyright © Presses Universitaires de France, 2005

جميع الحقوق محفوظة للنشر بالتعقد مع دار الطبعات الجامعية الفرنسية - فرنسا

نشر هذا الكتاب لأول مرة باللغة الفرنسية عام 2005

بإدارة الطبعات الجامعية الفرنسية بفرنسا

دار الكتاب الجديد المتحدة 2006

الطبعة الأولى

19 كانون الثاني / يناير / أيار 2008 بفرنسي

**جان بول سارتر**

ترجمة الدكتور جورج كزوز

تصميم الغلاف دار الكتاب الجديد المتحدة

موضوع الكتاب فلسفة

التجليد عادي

الوصف 17.5 x 11.5 سم

رقم الإيداع المحلي 2005/6840

ردمك ISBN 9959-29-332-7

(دار الفكر الوطنية/معاري - ليبيا)

دار الكتاب الجديد المتحدة

الصناعة، شارع جوستيني، سنو أرسكو، الطابق الخامس

هاتف 961 1 75 03 04 • فاكس 961 1 75 03 39

961 1 75 03 05 • فاكس 961 1 75 03 07

ص ب 11-96 الرياض الصالح - بيروت - لبنان

بريد إلكتروني [sarabany@inco.com.lb](mailto:sarabany@inco.com.lb)

الموقع الإلكتروني [www.oasbooks.com](http://www.oasbooks.com)

جميع الحقوق محفوظة للدار. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائل نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التوزيع والاسترجاع، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

توزيع دار أفريقيا للطباعة والنشر والتوزيع والتسعة المتأصلة

زاوية الداهلي، شارع أبي دود، بجانب سوق الهادي، طرابلس - الجمهورية الليبية

هاتف وفاكس: 218 21 34 07 013 • فاكس 218 91 21 45 463

بريد إلكتروني: [oasbooks@yahoo.com](mailto:oasbooks@yahoo.com)

## مقدمة المترجم

هذا الكتاب ليس تلخيصاً للمسيرة الكبيرة التي وقصتها آني كوهن سولال عن سارتر (Sartre). والتي ترجمت إلى العديد من اللغات، ما عدا العربية. ولذلك يبدو خيار ترجمة هذا الكتاب في هذه السلسلة عملاً جيداً ومشكوراً. فسارتر يأتي في مقدمة الفلاسفة المعاصرين الذين شغلوا أكثر من حيز. إليه يعود الفضل في نشر الوجودية في فرنسا ومنها إلى أنحاء أخرى بعد أن تعرّف إليها في فترة الأسر في ألمانيا، وبعد أن نقل خطوطها ومعالها إلى بلده ليكمل منها ليس فلسفة وحسب، بل نمط حياة. وفي السياسة سيكون سارتر مع قلة التزامه الحزبي إنساناً سريع القلب، لكنه واضح الخط، بل إنه بدأ حياته كما نطلع هذا على جانب من سيرته من خط مغاير بل شخصي لم يكتب له النجاح الطويل، لكنه أثر فيه طيلة حياته.

ولأن واضع هذا الكتاب قد تعقبت كل المراحل الأولى فهي لم تنس أن تبرز خيط، أو خيوط، النشأة الأولى، وبسبب إيمانها الفاعل بتأثير الطفولة المبكرة على شباب وعلى حياة سارتر. لكن ذلك ليس الأهم، حيث بدأت المؤلفّة من الأخير من موقف العالم المعاصر من سارتر بعد غيابه بسنوات. والموقف هذا يتعدى بلده فرنسا ليصار إلى قياسه في أماكن ومطاح أخرى. فتشير المؤلفّة إلى تنقلات سارتر المتعددة في مراحل مراهقته وشبابه، وتشير

إلى طريقة فهمه للفلسفة وكيفية تعليمها. كما تشير أيضاً إلى صداقاته ومعارفه، وتجمع لذلك شهادات نادرة، متعقبة الأقارب والأهل والجيران والأساتذة الذين صادقوه معه أو ناصبوه بعضاً من عدااء. كما تجمع شهادة طلابه وتلامذته حيث حل معلماً، وحيث حاول إنزال الفلسفة من علياء الكتب إلى عقول الطلاب الذين أحببوا بطريقة تدريسية.

بعد ذلك تشير الكاتبة إلى مراحل لاحقة من حياته، إلى الحقبة الأميركية وتأثره بالرواية الأميركية ونقل صورها إلى الأدب الفرنسي، وامتتهانه كتابة القصص والروايات بعد ذلك، وصولاً إلى المرحلة السياسية النضالية إلى حد ما. وتحوّله سفيراً غير معين لفرنسا في أرجاء متعددة من العالم، فسارتر صار الإنسان الذي لا يستقر في مكان إلا ويكون على موعد في المكان الآخر لإلقاء محاضرة أو للمشاركة في مهرجان، أو للقاء مناضلين وما شابه. هذا دون أن تنسى الإشارة والإشادة بجهد التاليفي في المجالات المتعددة. لا سيما إطلاقه لمجلة «الأزمة الحديثة» Les Temps Modernes، التي لاقت الصدى العريض والانتشار الواسع.

إلا أن السمة الغالبة على هذا الكتاب هي الاهتمام بالجانب السري لسارتر، إنها رواية حياة بأسلوب موجز وبسيط وسريع إلى حد ما. وفي مقل السيرة تظل الوثائق على جانب من الأهمية. والوثائق هنا متنوعة. كتابات سارتر، علاقاته بالآخرين، ومنهم صديقه اللدود البير كامو Albert Camus، وشهادات الشهود، الأهل، الأقرباء، الأساتذة، الطلاب والنقاد، بل الرسائل والمراسلات التي نجدها بكثرة منه وإليه.

والى جانب هذا الاهتمام تولي الكاتبة جانباً آخر أهمية لا

تقل عن الاهتمام بما رصدته في المؤلفات، إنه ولع سارتر بالسينما. وهو الذي شكّلت السينما نقلة نوعية في حياته. إذ دفعت أول الأمر لكتابة السيناريو فأخذت من حقل التعليم المدرسي وأمنت له استقلالية معينة. بعد ذلك وجد نفسه مستقلاً وانتقل إلى مجالات التأليف في الحقول المتعددة. لكن ولعه بالسينما ظل قائماً، فكان أن عرف السينما الأميركية وأعجب بها ونقل ولعه هذا إلى طلابه في المدارس التي اشتغل فيها.

يصعب علينا اختصار هذا الكتاب على صغره. لكن المؤلف استطاعت أن تعطينا صورة عن سارتر، كما لو كان يقدم صورته بنفسه.

إن اختصار السيرة الكبيرة بسيرة أصغر لا يضر بجوهر الموضوع، لكنه يجعله بمتناول الجميع. وهذه هي رسالة هذا النوع من الكتب.





## تمهيد

«من هو جمهورك؟» سؤال وجّه إلى سارتر ذات يوم. «طلاب، أساتذة، وأناس يهتمون فعلاً بالقراءة، من لهم هذه السيتة»، هذا ما أجاب به.

لقد أحب سارتر بالتأكيد فكرة أن يدخل في سلسلة «ماذا أعرف؟» Que sais-je? <sup>(\*)</sup>، وهو الذي أسر ذات يوم من شباط 1940 في مذكراته الحميمة عن شطط مشروعه الثقافي: «إنه العالم الذي أريد أن أتملكه [...] إلا أنه تملك من نمط خاص: أريد تملك بوصفه معرفة [...] والمعرفة بالنسبة لي معنى سحري للتملك» <sup>(1)</sup>.

لقد أحب سارتر دون شك فكرة الدخول في سلسلة «ماذا أعرف؟»، وأن يجد نفسه مكثفاً في كتاب تلقيني وتوليقي، بمهد لقراءة أعماله بكاملها، ويعرضه كذلك فهو يتيح لجمهور عريض من القراء الدخول في علاقة جدلية على طريقته بالطبع معطياً إياهم وسائل قراءته قبل معارضته أو تجاوزه، وبسؤاله عن ظاهرة القراءة أجاب دون موارد: «القارئ، هو من اخترعنا ويمد

---

(\*) «ماذا أعرف؟» هي التسمية الفرنسية للسلسلة، ونحن أطلقنا عليها تسمية «نصوص».

أفحاجه الحقيقة مع كلماتنا إنه فاعل، فهو يتجاوزنا، ونحن من أجل ذلك نكتب.

هذا ما يعني إننا بالنسبة لسارتر، وقد استعيد شيئاً من ذكره المثوية، معنى الدحول في سلسلة «مأنا أعرف»، إنها بالنسبة له المناسبة أن يطلق مرة أخرى في البحث عن جمهور جديد، عن هؤلاء الناس الذين يهتمون فعلاً بالقراءة، الذين بهم هذه السيرة، وأن يتركوا أنفسهم للوقوع في أفحاجهم، وأن يقدم لهم كلماتنا قبل أن تحسف.

## الفصل الأول

### تيفيه، مونتريال وبرازيليا

تصبة حسابات ها، وإحالة فمرة في أماكن أخرى

في 22 حزيران 2004 وفي المسرح الكبير التابع لجامعة  
بريس الذممة تلقى مبلسوعان قادمان من مكان آخر، ايناباسي  
موهوس (Antanas Mockus) وكورنيل فيست (Cornel West)،  
شهادة دكتوراة تقديرية من يد الرئيس مبير لوبيل (Pierre Lucci)،  
الاول من جنسية كولومبية، وهو عميد قديم للجامعة وقد صار  
فيما بعد رئيس بلدية بوغوتا «Bojota» أما الثاني فممن مواليد  
الولايات المتحدة حيث يقوم بالتدريس في جامعة برنستون  
Princeton، وهو أحد المفكرين الأشد كارييرمانية بين الجماعة  
الأمر - أميركية في حطاسيهما لقبول الشهادة، استند كلاهما إلى  
سارتر بطريقة طبيعية وضرورية موحوس انطلاقاً من شرائط  
الثقافي، وهيست انطلاقاً من المرحلة ما بعد الاستعمارية وهما  
اتجاهان سبق لسارتر أن مهد لهما ثم تفكر بهما قبل أي مرد  
آخر بالنسبة لهدير الفيلسوفين، كما بالنسبة للعديد من المثقفين  
في أرجاء «العالم، يشكل سارتر مرجعاً يومياً، أستطيع أن أصفه  
ربما بـ «موصلة أخلاقية» لهذه المرحلة ومع ذلك فالحال هذه

مختلفة في فرنسا وإذا كنت قد احترت أن أفتح هذا العصر  
بمشهد من هذا النوع، فذلك لأنني غالباً ما مساءلت عن الابهتاد  
العريب في تقبل أعمال سارتر في فرنسا وهي خارجها. وإذا كان  
قد سُلِّطَ عليها حُرْمٌ عندما هي مراجع ملزمة في أماكن أخرى

في الواقع، عام 1980 ومطلب من ناشر أميركي وبعد عدة  
أشهر من وفاة سارتر، كنت قد شرعت في مشروع يتناول سيرة  
سارتر، وهو مشروع لم يكن ليثير حماساً جمهور كبير في فرنسا  
تهكم، تصفية حسابات، سكوت مصجر، وصيق... تلك هي المواقف  
التي غالباً ما صادفناها تجاه سارتر، حتى ليُحِطَ إليها ما إذا كان  
يجب استبعاده كلياً، أو «استبداله». «سارتر متهم»، هذا ما كان  
نتيجة ستقصاء قامت به «Quotidien de Paris» من خلال استفتائها  
لحوالي خمسة عشر مثقفاً طارحة عليهم السؤال التالي «ما هي  
مرايكم الأخطاء السياسية العشرة الأشد خطورة التي اقترعها  
سارتر؟». والإجابات توالى لقد حدد سارتر في برلين عام 1933،  
وفي باريس عام 1944، وفي موسكو عام 1954، وفي كوبا عام  
1960 وفي بولونيا - ميلكورت عام 1970. ثم راح كل منهم يتهكم  
«سارتر السيئ»، ذلك الذي لم يظهر أية ردة فعل حين شاهد مرور  
«الجيش النازي»، ذلك الذي فصل البقاء في باريس بدل الانتقال إلى  
مناطق المحور والامضام إلى المقاومة العادلة، ذلك الذي كتب أن  
«حرية الصحافة كاملة في الاتحاد السوفييتي»، ذلك الذي مجد  
المظام الذي يرأسه كاسترو Castro، أو أيضاً ذلك الذي حثم برهق  
على برمبل مخاطباً عمال مصانع شركة رينو Renault

لكن ماذا يعني بدقة «الأخطاء في السياسة» وماذا نعهم  
بمعدلون كلمه «خطأ»، إن لم يكن يعني حقيقة دائمة، نهائية أو  
املاطوية؟ لم يحس سارتر نفسه إطلاقاً في تفسير للعالم لقد

عُر مكانه، نقد حذر، وأبدى ضيقه فكف يمكن إداً وكل مية سنية أن منزع حق لعب نور الرقيب الاسترجاعي وصولاً لقياس انتاسحاب التي نعرها وبمبير المقاط الحيدة، وإلى ما موصدا هذه الطلبة الحسورة، إن لم يكن إلى سارتر «جيدة»، إلى سارتر لا سحطي أو يتبره عن أخطائه؟ ولماذا هذا المقسام العشثري؟ فالحقيقة هي السياسة تدو لي من الناحية العملية ما داب سارتر بدفع عنه باستمرار ألم يكن من يدع باستمرار، وتجاه كل إجماع وامثالية، نحو المبحث الشخصي، محاولاً التخلص رغم كل شيء من دور الأستاذ في التفكير، هذا الدور الذي بداه الأحرار حونه؟ وهو ما كان نقطة الصعف التي تجرح أدلك.

«بعد سارتر من؟» هذا هو العنوان الذي وضعته بدورها صحيفة Le Matin de Paris قبل أن تقدم صورة عن المفكر الفرنسي ندي يمكن أن يشغل المكانة التي حلت بعد وفاة سارتر مستعرضة أسماء كل من بورديو Bourdieu، ديريدا Derrida، ليفي ستروس Levi-Strauss، فوكو Foucault، ودوبريه Debray.. وسواهم كما لو كانت السلطة الرمزية التي أحتلها سارتر بعد صدور أعماله الأدبية، ومقالاته ومداخلاته العامة ومواقفه وحدهه والتزاماته، وبعد رفضه للأحداث الملساوية السياسية التي تميز بها القرن العشرون (الحروب البارية، والعنف والاستعمار والتعمير العنصري وسواه) كأن كل ذلك حمل يمكن نقله إلى أحد أقرانه ولماذا بعد موت سارتر ظل شمعته يوارى ارتفاع الفكر الفرنسي مشعلاً، وبعد فصحاح منظمه، المقاشلات القديمة التي يدعى فيها كما يو كان على رأس مائده مدعوين؟ وعن ماذا يبحث في هذه الحركة المردوجة التي تقيد وتحتفظ في أن واحد؟

هذه التبعية العريضة التي ظهرت بعد وفاة سارتر تدو لي

علامة قوية على عصرها عن محاوره وبنقائني الحداث أن قوة المثقف الفرنسي الكلية على الأمر السياسي كانت معد وماته قد تطورت بشكل نهائي، وإن كل النقاشات التي حدثت لم تكن أكثر من عارض معه نعتاً أيضاً كلاً من فولتير Voltaire ودهمو Hugo ورولا Zola مما هو الموقع الذي شغله سارتر والذي لا يمكن شغله بعد وماته ما هي السلطة التي حار عليها سارتر والذي لا يمكن بعده استعادتها ولماذا لا يمكننا أن نقبل أنه عبر النقد وبفاد الصبر إنما كان الأمر يدور حول حيز للسلطة ولماذا لا نحاول أن نفهم إلى أي حد يشير هذا العنف المأ عميقاً، المأ يصعب تحديده بدقة، لكنه مقلق وموجود، إنها أزمة المثقف - النبي وظهور كاريزماتيات جديدة بتحريكها للأستة بهذا الشكل، يحين نبي أنه بإمكاننا أن نعيد طرح السؤال مجدداً

بدورها قامت مجلة لوبينا Le Debat بتنظيم ملف شامل «سارتر بعد خمس سنوات» حيث طلب من العديد من مفلاسفة الإجابة على السؤال «أين نحن من سارتر» بعد خمس سنوات على وفاته، «قلة هم الذين يذكرون اليوم» كتب الأول، فيما تنقد الثاني «انعدام القانم على تمارج الذكاء مع الحماسة مؤكداً» أنه كتب لا يعنيني، «فيما قبل الثالث» أنه قد مرت عدة سنوات لم أفتح فيها كتاباً لسارتر. باختصار سنوات خمس مرت على وفاته فيما نحن ما يزال نبحث عن التراجي في شعر سقراط

ملك هي إداة الحالة الحريئة التي وجد فيها المثقفون الفرنسيون بعد السنوات الخمس على وفاة سارتر، الهيسوع الذي شكل موضوع استقصائي أما من جانب الجمهور العريض، فالأمر كان أكثر سوءاً فهي أحد أيام أيلول من العام 1985، دعيت لندشين لوجه وصعب لتكرم سارتر في مدينة ثييفي (Thiviers).

في منطقة بيريفور (Périgord)، حيث ولد والده جان - بانيست Jean-Baptiste، وحيث كان يقضي أياماً من إجازاته. وكانت الصحافة أن أرى أن المعارضة لمارتر لم تكن قد انطفأت بعد، فالديس يدخلون عوداً عوداً إلى صالة المجلس البلدي لتوقيع كتبهم بعد القداس ثم يتفرقون بسرعة، وحين عدت إلى المحطة كانت الستائر قد سحبت كلها، وكل صار في بيته. إلسا لا تكلم سوقياً مثله، ذلك كان صوت أحدهم، وقد وصل عبر التلفون دون الإصاح عن هويته.

في الوقت نفسه كنت أكثر من تحركاتي، وأستقصي متحدة درب رحلاته، ملاقية الشهود، وكان غالب الأحياء ينتدس شعور بالاعتراف تجاهه وبالدور له، وهذا ما صدمني ففي جرد الأسبيل «An' illes» على سبيل المثال حيث تعرفت على ما للصحافة من دور أثارته بعد وفاته، مجد صحيفة في المرتبة «Cinquantenaire» نكتب (Sacre un ma. nég) ما يعني تقريباً «شخصية فريدة»، «بموجباً جيداً» وبعد صدور كتابي وبعد الجولة التي قمت بها إلى البلدان التي ترجم إلى لغاتها، لاحظت أن الكارييما التي نسبت إلى سارتر ظلت هي إياها، كما هو الآن الشعور بالدور تجاهه ما زان شعوراً لم يمس. ثمة لحظتان تطبعان بالنسبة لي هذه السنوات الأربع من الجولة الأدبية الأولى كانت في موشريال في نوفمبر 1985 والثانية في براريليا، سبتمبر 1986 والمخصوص التي استعبدتها هيما يلي، وقد كتبتها بعد أسابيع من طباعة سيرتي، قد تكون مثيرة للفرح

موشريال، الخميس الرابع عشر من تشرين الثاني/نوفمبر 1985 أمس، وفي المطعم أعطاني الكاتب أندريه ماجور (André Major) معجاً أولاً «سبب سارتر طردت من مدرسة



Eudistes عام 1955، وبسببه أيضاً لم أستطيع الدخول عند اليسوعيين، لقد أتيت على ذكر (الأمواب المعقلة) Hus eos في مذكراتي الحميمة. أما بالنسبة لسارتر فالشهادات هنا كثيرة وبالتوافق، لقد حَزَمَ اسمه في التعليم الديني على مدى عشرين سنة وكان المسيح الدجال، الملحد أمس في أوتواوا واليوم في كينيك، وحدث سارتر كما لو كان ضمن الكلوفورم، كما كان يجب أن يكون في باريس قبل عشرين سنة وحتى أربع الكهنة يروي أحد إداريي TNM كمت أتبره وكتامه، «الموت في الروح تحت إبطي La Mort dans l'Âme Sous le Bras» أما الكيس كليموف Alexis Klimoff، فيشرح الآن، «كانت محاصراتي عن فلسفة سارتر مملوغة بقرار من أسقف Trois Rivières عام 1954، كان الأمر مشابهاً كم لو كمت أعطي محاصرات في الصور الصلاعية البوربوغيزيا» أما المثقفون هنا فقد احتفظوا لسارتر بحيوية تجعل منه شخصاً أساسياً، إنه أسطورة ضرورية، أسطورة فكر تحرري

أما المقاسة التي حصني بها بعد عدة أشهر من ذلك الرئيس Barney في برازيليا، وبحضور وزير الثقافة Cezar Furtado، الذي حظي باستقبال سارتر أثناء رحلاته المعروفة عام 1960 وكان ما زال طالباً شاباً، فقد كانت تكريماً رسمياً وتعبيراً عن وقاء بديهي لقد ظلت هذه المقالة الرئاسية في برازيليا، كما الاستقبال في مونتريال، المقابل، لما حصل من إمدادات في Thiviers فعلى مدى «سنوات الأربع من الحولة التي أعقبت صدور سيرتي، حرص كل من الكتاب في البلدان التي ردتها علي الكلام وعلى الشهادته وعلى تكريم الأعمال التي وضعها سارتر في البرازيل هذا ما فعله جورج أماديو (Jorge Amado) وفي الأرجنتين أرنستو ساباتو (Ernesto Sabato) وفي البيرو ماركو فارغاس يوسا

(Mano Vargas Llosa) وفي الولايات المتحدة آرثر ميلنر (Arthur Miller) وسوران سونتاج (Susan Sontag) وإدوارد سعيد (Edward Said)، وفي اليابان كينزابورو أوي (Kenzaburo Oe) وفي إنكلترا جورج شبايمر (George Steiner) وسلمان رشدي (Salman Rushdie) وفي إسرائيل عاموس الون (Amos Elon) وداميد غروسسمان (David Grossman) وفي بولونيا آدم ميشنيك (Adam Michnik) وفي ألمانيا هانس ماعنوس أرنبرغر (Hans Magnus Enzensberger) ويورغن هابرماس (Jürgen Habermass) وفي السويد جان بيردال (Jan Plyrdal) وفي إيطاليا أميرتو إيكو (Umberto Eco) وألبيرتو مورافيا (Alberto Moravia). ثمة هض على الأسان؛ لقد حصل ذلك بالطبع وكائن من جانب بعض كتاب أوروبا الشرقية وبعض البلدان العربية، وفي الأيام الأخيرة «كان اعترافه بإسرائيل ما حملة على كل ما تبقى». هذا ما أعلاه الفلسطيني نافذ نزال (Nafez Nazal)، أستاذ السياسة. ومع كل ذلك فإن الوضع يبقى إيجابياً على الجملة.



## الفصل الثاني

### نحو مقاربة شاملة للمشروع السارتري

لقد حيرني ذلك التشوش الفرنسي فمن جانبي لم أشعر قط بالحاجة لتصفية حساباتي مع سارتر، لم أحاول إطلاقاً أن أقابل «سارتر الجيد»، «سارتر السيئ»، وكان اهتمامي منصباً على «سارتر بأكمله» مما عيه من تناقضات، ومن سداجات وشجاعة وحماسة وكرم وجموح. لقد بقيت على قناعاتي بوجوب مقاربة الأثر السارترى بوصفه كلاً، لاستطيع أن أفهم قوابل عمله، وأن أقرا فيه قواعد السلوك السارترى وأن أستفي منه المفاتيح اللازمة ولكن كيف يمكن الإمساك بأثر كهذا، على عزارته وتفسيراته، وهو الأثر الذي تطرق إلى كل الميادين الكتابية (رواية، قصة، فلسفة، مسرح، سيرة ذاتية، السيرة، المقالة النقدية، التحقيق الصحفي، والأدبية)، الأثر الذي توجه إلى كل الجماهير، من الجمهور المريض إلى الجامعيين، وفي كل الحدا، والذي يحيل بذلك أنه عصي على كل فهم.

ثمة ظاهرة غير منتظرة حدثت هذه السنوات، ما جعل مقاربتني الكلية لأثار سارتر كلها أكثر حساسية بعد وفاته. فالأثار التي تركها وإن كانت متقطعة قد بدأت تحيا حياة جديدة، خاصة

بعد طباعة المخطوطات غير المكتملة، أو المنسية، أو التي أعطاها  
أو التي صاغت، ومنها:

Carnets de la drôle de guerre, Lettres au castor et à quelques autres,  
cahier pour une morale. Vie et existence. Critique de la raison  
dialectique 2.

ثم تبعها الآثار الرومانسية بطبعة Pléiade،  
و Le Scénario Freud، écrits de jeunesse وهي لائحة بحسب أن  
نصم إليها أيضاً La Cérémonie des Adieux لسيمور دي بومور  
Simone de Beauvoir، وكلل الممر قد أرق بمقابلة طويلة مع  
سارتر، خمسة كتب هي ثلاثة أعوام، هذا ما أشار إليه بدقة ميشال  
كرونبا Michel Contut في جريدة «Le Monde»

مع شعور بالإعجاب لهذه الإنتاجية، التي تدفع إلى السؤال:  
كيف يعود لكتاب ميت أن ينجح وأن يكون أكثر حصداً مما كان  
في حياته؟

أما كتابه «دعائر عن الحرب الغربية» فقد أعجبني بشكل  
خاص من خلال العمل المصني القائم على التحليل الشخصي  
والشفافية، وهذا ما كان مشدوداً إليه يومياً في مذكرات حميمة  
كتبها عام 1939 - 1940 إنه من لا توارى فيه، بعض الصفحات  
تحمس على الملل، والبعض الآخر عظيم، وهي توحى بالعمق  
بالطريقة التي عمل بها وفكر بها. «لقد حصل لي وبعد حصول  
أخطاء في أحد التسجيلات أن أعترف بذلك بإرادتي، وأن أرداد  
تعجب بعد ذلك إذ رأيت محدثي رغم هذا الاعتراف ما زال يريدني  
خطر لي أن أقول له «ولكن انظر، هذا ليس أنا، وهذا ليس الأمر  
نفسه». وبالطبع إن ما جعل نظريتي في الحرية جد واضحة، وهي  
طريقة في الهروب من الذات، وهي كل لحظة<sup>(2)</sup> يدانسا شعور

للدخول معه هي نوع من التجميعية، في حوار لا تتأثر فيه، ولا عذر بين سارتر وسارتر، ومن خلاله فهو يحاكم نفسه، يبتعد نفسه، ويقسمها إلى حق، يسكن نفسه ويمتدحها بشكل صارم، بعيد ويمقاب نفسه مجدداً من خلال قدرة مذهشة على النقد الذاتي وطرح الأسئلة، كما لو كانت الحقيقة والأصالة ممكنة دائماً وفي كل الأوقات. هي سياق هذه الحرب الغريبة عبر المتظرة كانت الكتابة بالنسبة لسارتر المحضور مع غيره ضمن فرقة لمراقبة الأحوال الجوية فسحة للتنفس، للحضور في العالم، وكانت بمثابة نص

رغم كل هذه العقبات التي واجهتها في فهم الآثار الشاملة عند سارتر، كان عليّ أن أتجاوز أولى العقبات، وهي على ما يبين إلى عقبة الاعتراف. فإذا ما استعجلت لإقامة تصنيف يعتمد الأنواع - الرواية، العقائد النقدية، المسرح، الفلسفة، المقالات السياسية، الصحافة - فسرعان ما سينبئ لي أنني قد أهملت، أو تركت جانباً، سيناريوهات الأفلام، الأعالي، المذكرات، المقدمات، الرؤى، الرحلات، الحياة الخاصة، كتابات الشباب... إلخ وإذا حاولنا عرض مرحلة تاريخية - سارتر الهامشي في أعوام 1930، أو سارتر في عز مجده في سنوات 1945، والرحالة الكبير سنوات 1960، وسارتر الملك لير «Lear» هي أعوام إصابته بالعشى، فإنه سرعان ما يتبين لنا أن المرحلة التي اخترنا إنما هي في حوار دائم مع مرحلة سمقت، أو مع المرحلة التي تلي. وإذا ما أثرب التطلع إلى جهة الحقب السياسية الكبرى في القرن العشرين أعوام 1930 وما أصغرها من مظاهرات شعبية، أو أعوام 1945 واصططاع المثقفين في صفوف الحرب الشيوعي، فسرعان ما سينبئ لنا أيضاً أن سارتر إذا كان قد أثر الاقتراض ببعض رهانات العصر،

فهو قد انتعها بنوع من الرقص الذي يتوارى مع عصره فسارتر ١٩٣٠ على سبيل المثال، للهامشي، الفردي واللامسي لم يد أي اهتمام بالأممية البرولسارية التي أظهرها أوائل الشيوعيين الفرنسيين، شأن صديقه نيران، بل انصم بشكل حاصر وعبر تصرفاته إلى مواقف بعض السوياليين دون أن يلتقي بهم ودون أن يلاقي منهم اعترافاً به وبالعقل ومن أجل محوهم فهم كن العلامات السارتريّة لم يكن عليّ أن أحد كل الآثار المكتوبة بعين الاعتدال، بل المشروع السارتري، هذا التنظيم المتماثل من طرفه الأول إلى الأخير، إنه ثقافة مصادة لليومي، والممارسة فيه هي التي تحدد عيباً المشروع الفلسفي

كن معالجة قطاعية لآثره ستبقى ماقصة دون شك، إذ لا تصم بعض الأبعاد الأساسية، مثل نشاطك الأروحات أو ارتباط مختلف الأنواع، هي مقابلة له مع مادتين شابسال Madeleine Chapsal عام ١٩٦٠ قدّم سارتر بعض الآثار التي تسمح بفهم صورة أعماله وأفكاره بشكل أفضل، إذ تعطي صورة خاصة عن آثره «بعد خمس عشرة سنة وأنا أحدث عن شيء يتعلق الأمر إذا أردت بإعطاء أساس سياسي للأشربولوجيا وهذا ما زال مستمراً مثل سرطان عام» كانت تأنيبي الأفكار لم أكن أعرف أدرك ماذا أفعل بها، حينها كنت أضعها في أي مكان في الكتاب الذي كان يصدف أنني أقوم بتأليفه حالياً انتهى الأمر لقد صارت الأفكار أكثر تنظيمًا، أكتب عملاً يخلصني منها نقد العقل الحديث... لا أشعر بالحاجة لاستطرادات أقوم بها في كتي كما لو كنت ألهم كثر الوقت إثر فلسفتي فهي ستودع في معوش صغيرة، وسأكون هادئاً وفارغاً، كما بعد كتابة الوجود والعدم، والفراغ وحين يكون للكتاب عن الأشربولوجيا حلقي، سامنتطيع

الكتابة حول أي موضوع أما بالنسبة للفلسفة فأنا أقوم بذلك بنفسي، بعض المراجع العقلية... وحين يصار لوضع أعمال غير فلسفية مع احتراز الفلسفة - وكما أفعل ذلك عند هذا العقد من السنين - فإن أهل صفحة، وأهل نشر إنما يشككون من الفوقاب في الوقت الأخير، وحين كنت أشعر بالعقّة تحت ريشتي كنت أمسك التوقف ولهذا أقول إن كل هذه الكتب قد غابت من عذابها،<sup>(3)</sup>

في إشاراته إلى استعارات عسوية، وتقديمه لامتثالي أفكاره كما لو كانت مرضاً معدياً، وتوصيفه لتتابع الأطروحات بين الفلسفة والمسرح والمقالات الأخرى النقدية، فإن هذا المص الجمين يُبرز كيف لا يمكن التطرق إلى أعمال سارتر إلا بوصفها عسواً حياً، كما لو كانت كلاً متكاملًا وحدها المقاربة الشاملة التي تربط كل الأمواع التي تشكّل منها الأثر السارترى، بما في ذلك التدخلات السياسية، التي تأخذ أيضاً التصرفات السياسية بعين الاعتبار، وحياة الكاتب العاطفية واستقبال أثره في فرنسا وفي الخارج، وهوامل التدخل بين الإنتاج والخلق. كل ذلك سيسمح إلى جانب المقاربة بمقاربة فيبوميتولوجية بإعادة تكوين المنطق الداخلي الذي يحكم العمل السارترى.





## الفصل الثالث

### سيرة تكوُّن الأبله أو الخيالي بوصفه تحديداً مفصلياً

لنأخذ على سبيل المثال مشروعه «أبله العائلة»  
«L'Idiot de la Famille» النص الذي وضعه عن فلوبيير Flaubert،  
وهو من أواخر كتبه هذا الأثر الرائع الضخم، لم يكتمل، وكان من  
ثلاثة أجزاء و2802 صفحة وحتى يتسنى لنا فهم تكوُّنه يجب  
العودة إلى العام 1939، أثناء الحرب الغربية، «بالعودة إلى قراءة  
مراسلاته، في طمعة Charpentuer السيئة، يشرح سارتر انتابني  
شعور بوجوب تصفية الحساب معه وكان عليّ من أجل ذلك أن  
افهمه بشكل جيد، ثم تحولت كراهيتي الأولى إلى قدرة على  
تفهمه، الموقف الوحيد الذي يساعطني على الفهم»<sup>(1)</sup> كان فلوبيير  
بدايةً مدركاً كما لو كان تقية «للخيالي» منذ العام 1940، ثم أعلن  
عنه في «الوجود والعدم» عند نهاية الفصل المتعلق  
بالتحليل النفسي الوجودي، عام 1943، ثم في كتابه «ما هو الألب  
«Qu'est-ce que la Littérature» 1945، ثم تطور بعد ذلك بتأثير من  
روجيي غارودي (Roger Garaudy) في ثلاثة أشهر وفي عشرة  
دفاتر حوالي العام 1954، ثم تطور بعد عام من ذلك بوحى من

الناشر والمحلل النفسي ج. ب. مونتاليس (J. B. Pontalis) في مخطوط من 1000 صفحة ترك لوقت طويل قبل أن يستعاد عام 1963، فصاع محدداً ومراراً في صيغ متعددة، حتى إن الجراين الأولين مع بيشرا إلا عام 1971 والثالث عام 1972 ثم اهتم بشر الجراين الرابع والخامس، وقد تركا مهائياً بسبب العمى الذي أصاب سارتر

هكذا ولد «أبنة للعائلة» على مدى عقود ثلاثة، وهو يقوم على قواعد نظرية مختلفة تمتد من «الخيالي» «الوجود والعدم» و«مسألة المنهج» و«نقد العقل الجدلي»، ما سمح لسارتر أن «يكتب كل ما هناك من قول يمكن قوله حول فلوبير» مشروع صنف وحبوس، يحاول أن يفهم «الخيالي» كتجديد مفصلي لشخصية ويحاول أن يصف عصاب الولد غوستاف Gustave، ثم يحاور أن يشرح أثر سلبية كولد على رسالته ككاتب إنه مشروع يدركه الكاتب كما لو كان مفسراً لكل التساؤلات، بكل الطرق التي حاول سابقاً تجربتها، «أي مختلف التوسيطات والوسائل التي تساعدنا على تعميق معرفتنا بالرجال [...] وعلى العرج بين التحليل النفسي والماركسية»<sup>(4)</sup> مشروع استموازي، ذلك أنه يمتد على مدى أربعين سنة، يعود سارتر فيها إلى الاهتمامات التي راودته في سنوات دراسته في معهد المعلمين العالي حين احنار موضوعاً لدراساته العليا معالجة الموضوع التالي «الصورة في الحياة النفسية الدور والطبيعة»

مشروع مؤجل، أيضاً، ويعود ذلك للنيارات المصادرة في الأبحاث التي سلكت عصره؛ فمنذ منتصف سنوات 1960، ومع ظهور الأفكار البنيوية وظهور مفكرين ماركسيين جدد، صارت الفكرة السارترية فكرة هامشية، بل حيل إليها صائرة إلى الأقل

في العالم بثقافي رغم ذلك كله ازدادت حماسة سارتر في التصدي رأساً لرأس فلوبير، مطلقاً عليه طريقته الشمولية بطريقة معلقة وبمساعده الادوية وبمساعدة القربين منه «لعادا الإصرار على فلوبير»، هذا السؤال الذي ردهه النقاد «إنه يمثل بالنسبة لي نقيض تصوري الخاص عن الأدب التحلي عن الالتزام الكلي في البحث عن مثال شكلي ليس مثالياً على الإطلاق لقد بدأ فلوبير يسهرني بالتحديد لاسي رأيت فيه ومن كل وجهات النظر واحداً آخر يقيصاً لي كنت أسأل نفسي كيف يكون رجل كهذا ممكناً، أو أيضاً «لا بد من الاحتكاك بمن يحاصمني»<sup>(6)</sup>

بالدخول في الأثر السارترى عبر «بوابة فلوبير» أي من النهاية، نحن بسرعة إلى شبكة معقدة من العراسلات تحثنا على العودة بالزمن، ولندرك أن الحوار مع فلوبير قد بدأت جذوره منذ زمن طويل، طويل جداً، يعود إلى طفولة سارتر بل ربما لأن «أبلة العائلة» يمثل نهاية تصفية الحسابات الفعلية مع هذا الذي مثل دائماً فرنسا البرجوازية والعائلة، فرنسا القرن التاسع عشر فجدّه كان شفائتر (Schweitzer) علاقة صعبة وصراعية بين الابن الصغير وبين المفضل، الجد، المربي الحقيقي، الكريم، العائق السلافة، الذي كان الراعي الوحيد للولد الموهوب جداً طيلة السنوات العشر الأولى من حياته لتتخلص من إملات الجد ولوقائعية العالم ولحبه الشديد، قام الولد، بتيم الأب، بالشرود أبتاك رسالة ضرورية ومستحيلة لقد بدأ كائناً منذ الثامنة من عمره، مع قنعة بأن ذلك كان ولادة - دائية «قام جدي» كما شرح ذلك سارتر في «الكلمات» «مقدّم في الأدب من خلال العناية التي أنعمها في تحليلي من ذلك» ندرحة أنه قد يحصل لي حتى الآن، أن أتساءل حين يكون مراحى سيناً، إن لم أكن قد أمضت العديد من الأيام ولليالي مغلّ

بالعديد من قصاصات الورق معلوّة محجري، طارحاً على الأرض العديد من الكتب التي لا يتملأها أي شخص، مهدف وحيد وآمل مجنون هو إرصاد جدي.<sup>(7)</sup>

فيما كان صدور «الكلمات Les Mots» عام 1963، وبحسب عباراته «وداعاً للآدب»<sup>(8)</sup>، فإن سارتر يقول لما إن «الكلمات» قد وصفت بهدف «الإجابة على السؤال نفسه حول الدراسات عن جينيه (Genet) وعلوبير كيف يصبح الرجل أحداً يكتب، أحداً يريد التحدث عن الحيالي»<sup>(9)</sup> هكذا يتراوح الأثر السارترى بين ارتداد إلى عدم نهاية، بين إعادة صياغة نظرية وبين برهنة عملية، بين حوار دائم مع مبدعين آخرين، من زملاء له يتقدمون من بودليير (Baudelaire) دراسة «عبر كافية، بل يمكن القول سيئة»<sup>(10)</sup> إلى «سان جينيه (Saint Genet)، الكوميدي والشهيد» وفيها «سجد دراسة حول تكيف جينيه بأحداث تاريخه الموضوعي وعبر بكافي، غير الكافي إطلاقاً»<sup>(11)</sup>، ومن جينيه إلى مالارمي، ومن مالارمي (Mallarmé) إلى تيمتوريه (Tintoret)، ومن تيمتوريه إلى علوبير، هكذا كان سارتر يعمل، عارصاً أمام كل مهم تناقضاته، وحدوده الخاصة، وما تخلى عنه، وثقلاته، شعافيته وديناميته، منقبلاً في نهاية الأمر «أن الكُتّاب الأحياء يحفون أنفسهم، وإن «حين يشرع المرء في الكتابة فإنه كمن يتقيح»<sup>(12)</sup>

«الم تنفعهم وإن قليلاً أن يقوم أحدهم بمراولة العمل نفسه، عمل الإيصاح الذي تمارسه أنت على علوبير؟» هذا سؤال طرح عليه ذات يوم.

«على العكس، سأكون مسروراً أجاب سارتر وهككل كاتب، أنتحي. وأنا بدوري رجل عام وباستطلعة الناس أن يفكروا فيه ما حلا لهم، حتى لو كان ذلك قاسياً».

«الا نحشى حكم الأجيال للقادمة».

«إطلاقاً لا لأنني على قناعة بأنه سيكون حكماً جيداً بل إني  
أتمنى أن يحصل ولم يحظر عليّ بالي أن أقوم بإبلاغ رسائل أو  
وثائق تتعلق بحياتي الشخصية كل تلك سيعرف من الأفضل أن  
يساعد ذلك أن أكون شفافاً أمام الأجيال اللاحقة - إذا ما أبدت  
اهتماماً بي - كما هو قلوبير في نظري الآن»<sup>(13)</sup>



## الفصل الرابع

### الخط البياني لإنتاج غير نمطي

سارتر المدهش، وخطه المهني يسير بطريقة فريدة، وببتمتع مطلق عن خط سير معاصريه. ما هو إذاً مفتاح هذه المهمة التي عاها الشغف الأدبي الذي كان عنده في طفولته ليعود وتتفتح أرفاره إبان سني كهولته؟ كيف يمكن لسيرورات الابتاق هذه أن نجد مكانها؟ ما هو نمط العلاقة التي أقامها سارتر بمصره عبر سياق تتابع فيه مراحل الطلاق، والانسجام، ثم اطلاق مجدداً؟ كيف سيتسنى له أن يتجاوز الطرق المسدودة وأن يخرج من الطرق المسدودة؟ كيف تتقدم هذه الفكرة الأخذة دائماً بالصيرورة، إلا أنها وفي الوقت نفسه تظل تدور حول الأسئلة عيها وظيفة الأدب، ووصمية العنان أو المثقف، وانطباع الزمري في الواقعي؟ إذا حاولنا أن نحقق الإنتاج السارترى بإمكاننا تمثيله في شكل خط بياني يبدأ بمطء لبيلغ قمته إبان السنوات التي شهدت مجد سارتر (1945 - 1960)، ليعود ويقع في مرحلة أقل عمومية حيث كان الهم السياسي قد أحد مكان العودة إلى اهتمام ثقافي كان مؤثراً في سنوات 1940.

نعود أولاً إلى التكوين البطيء والصعور لمهمة الكاتب،



لعدادات رجل مبورط في مذابح «محددة» مقاحر إن فكرة العمل على العرضية كانت في نال سارتر منذ العام 1926، إبان سنواته الدراسية في معهد المعلمين العالي ومع ذلك فقد أستهرق الأمر اثنتي عشرة سنة من العمل المكمل حتى يستطيع أن يعاود «عمه» على العرضية. وبعد كتابته، وبعد الإشفال به قبل أن يطبع هذا العمل بشكله النهائي «العتياري» وإذا كان سارتر قد استطاع بعد ذلك الدخول في عالم النشر واستطاع أن يكتب إلى سيمون دي بوفوار «أنه يمشي على الشارع ككاتب»<sup>(14)</sup>، فلم يكن ذلك إلا بعد سيرورة خاصة وصعبة، استفاد فيها من تدخلات العديدين من القريبيين إليه بول نيزان Paul Nizan، سيمون دي بوفوار، جاك لورنت - بوست Jacques-Laurent Bost وسواهم، وبعد أن رضى أن يحصص كتابه لسلسلة من أعمال الرقابة الفعلية بالنسبة للعديد من المقاطع الجوفاء جداً في متن النص.

في الثلاثين من عمره، كان سارتر وريث تقليد فرنسي تهابوي ولذا ترئى بين الكتب، وفي مهد معهد المعلمين العالي الناعم، ثم أصبح مدرّساً للفلسفة في ليسيه هافر Havre مستعصباً بالحفلات الموسيقية عن مشله في البشر وضد احتشاق الريف الفرنسي، المائل إلى الفوضى، المعزول والفردي، وراح ينظر بعين لامبالية للاستعراضات الكبرى تقوم بها أحزاب اليسار، مستمعاً مسحوبة إلى آمال الشيوعيين الفرنسيين الذين أسرتهم التجربة السوفييتية انطوت هذه المرحلة الأولى من إنتاجه قدر نهاية «حرب العالمية الثانية» على أعمال أدبية، فلسفية، درامية ومقالات في النقد الأدبي والتحقيقات، وقد صعدتها وصفاً يائساً للعالم، من وجهة نظر رجل لا ملتزم، هامشي، ثم قدّم نفسه بصورة الرائد، السابق لعصره والمصلح، مطلقاً صرياته بتجاه

الثقافات العربية، مطوراً مفاهيم أساسية، مثل نظرية العرض، وسوء البنية، ونظرة الغير الأسيرة.

كانت الحرب العالمية الثانية صدمة للمؤلف، الذي عاش حتى نابيجه في أوساط محافظة، لقد هزت ما هو اجتماعي في حياته، تأسيساً الحرب ومعسكر المعتقلين قد وضعاه إزاء أنماط جديدة من الرماق في سننلاد XII D Stalag في مدينة ترييف Treves، كان يعلم الفلسفة، ويكتب وينسج قطعاً مسرحية، نابيوبا (Barionat)، ثم تحرر وانطلق مع جماعة صغيرة من المقاومة، الاشتراكية والحرية، ولم يدم ذلك إلا بضعة أشهر وعلى وقع أولى كتاباته، أسجل عمه الفلسفي «الوجود والعدم» «L'Être et le Neant» (صدر عام 1943) وكماؤلف رويات (راح يعمل في الجرد بين الأولين من «طرق الحرية» اللذين نشرتا عام 1945) وكاتب دراما (أصدر «الدباب» 1943، «الأبواب المغلقة» 1944)، إلى جانب ذلك شرع في كتابة تحريرين جديدين كتابة السياريو، بتمويل من شركة «Pathe» (ما أتاح له مباشرة أن يترك التدريس)، ثم العمل محققاً صحافياً بتحفيز من البير كامو الذي عرض عليه أن يصبح «شاهداً على عصره» بالكتابة إلى «Combat» ثم إلى الفيجارو le Figaro.

وبعد أن قام بتغطية أيام التحرير في باريس، أرسل سارتر إلى الولايات المتحدة لمدة خمسة أشهر فالولايات المتحدة هي البلد الذي يشغل باله منذ مدة طويلة لأنه بلد حامل للعداة، وهذا ما سيضع سارتر في طور حديد مع عصره. والعمل على الأرض الذي أتاح له السفر إلى نيويورك وهوليوود وتكساس والمكسيك - الجديدة، قد قدّم له في الوقت نفسه موضوع بحث عريض وحماسي الولايات المتحدة الأميركية. ثم إن هذه الرحلة قد أظهرت سارتر المعاصل الأخلاقي، الذي يلتزم للمرة الأولى بامر

اجتماعي الاصطهاد العنصري الذي كان السود في هذا البلد  
صحاياه. وإن هذه الرحلة بالذات بدأت صورة سارتر «مناصر  
من أجل العالم الثالث بعد سنوات 1940 بالظهور

بعودته من الولايات المتحدة أصبح سارتر أحد ماغلي  
بهمة الصحافة الفرنسية وأحد إبتاجاتها «مواقف Situation،  
والحرية Libertés، و«الالتزام Engagement» صارت بالنسبة به  
مصدرات تغنى عن هذه الحقيقة «خدمة الأدب بيث دم  
جديد فيه، هذا ما جاء في تقديمه لـ «الأرمية الحديثة  
Les Temps Modernes» «تقبل كل المحطوطات أياً كان مصدره،  
لا يجب أن يسيبنا الالتزام في الأدب بأية طريقة من الطرق [ ]  
خدمة المجموعة بإعطائها الأدب الذي يناسبها»<sup>(11)</sup> ثم يأتي بعد  
ذلك الأحكام ومواقف السلطة لرجل يأتي في مركز متقدم  
«فالكاتب هو في موقف مع عصره ولكل قور عداوته، وكل  
سكوت أيضاً يجعل فلوبيير وعوبكور Goncourt مسؤولين»<sup>(12)</sup> ثم  
به نظم مشروعاً شاملاً وشعبياً لتقصي أحوال العالم «إذ كانت  
الحقيقة واحدة، فلا نبحث عنها في أي مكان بل في كل مكان»<sup>(13)</sup>

بعد شهر أيلول /سبتمبر 1945 ظهر سارتر، يكتب على طاولة  
ما بعد الحرب المبعث «من أجل عصره»، عبر إنتاج هصب إلى  
درجة لا تصدق وعمر حوار حقيقي مع الجمهور يمكن الحكم على  
ذلك عبر لائحة (عبر مكتملة) من إصداراته منذ عام 1945، حتى  
عام 1963، أصدر «الوجودية فلسفة إنسانية L'Existentialisme est  
un Humanisme»، «طرق الحرية Les Chemins de la Liberté»، مجلة  
«الأرمية الحديثة Les Temps Modernes»، «مواقف Situations»،  
«الأحرز» إلى 11، «موتى بلا قبور Morts sans Sepulture»،  
«المرعس المحترمة La Putain Respectueuse»، «تأملات في المسألة  
اليهودية Reflexions sur la Question Juive»، «بودليير Rauldela re

«أرميوس الأسود» Orphée Noir، «استهت الألعاب» Les Jeux sont  
«Fais»، «لايدي القدرة» Les Mains Sales، «التشائم» L'Engrenage،  
«مالارمي» Mallarmé، «مقابلات حول السياسة» Entretiens sur la  
«Le Diable et le Bon Dieu»، «الشيطان والإله الطيب» Politique،  
«سار جيسه الكوميدي والشهيد» Sartre Genet Comédien et Martyr،  
«قصصية هنري مارتين» L'Affaire de Henri Martin، «Kean»،  
«Nekrasov»، «محتحرو التوتونا» Les Sequestres d'Altons، «نقد  
العقل الجدلي» Critique de la Raison Dialectique، «الكلمات» Les  
«Mots»... ثم شارك في كتابة العديد من المقدمات للعديد من الكتب  
الفرنسيين، فلم يرمض إطلاقاً مساندة الكتاب الشباب الذين كانوا  
يتوجهون إليه بالدهاء.

كيف يمكن تفسير هذا التأثير الذي عرفه فكر سارتر عام  
1945. كيف يمكن وصف هذا النقط للنتاجات الأدبية ونموها  
إلى ذرات؟ ربما كان بإمكاننا أن نعطي فكرة تقول: إنه تحبب  
جمهوراً كلياً، وهي فكرة لم تحظر على بال كاتب قبله في هذا  
العصر الذي كان يشهد طفرة في نظم التواصل قام سارتر  
بتقسيم الرسائل تبعاً للجمهور المختلف الذي يتوجه إليه، محاولاً  
تطوير عمليات فعلية، مثل المحاضرة الشهيرة «الوجودية فلسفة  
إنسانية» التي ألقاها في 20 أكتوبر 1945 في نادي «Maintenant»  
والتي عتبرت حدثاً إعلامياً في البلاد في تلك السموات وبالقراس  
مع محاضرات العودة للمدرسة 1945 ظهر العدد لأول من  
«الارمة الحديثة»، والجراء الأولان من «طرق الحرية»، كما توالى  
عرض الابواب المغلقة، وبالتراكم اسم «الوجودية» أصبح اسم  
سارتر اسماً يرمز مداولة يومياً في الصحافة (سواء كان يفعل  
الإعجاب أو الكراهية) الوجودية لا أعلم ما هي هكذا كان يحيب  
حين يسأل، «فلسفي هي فلسفة وجود صارمة».

مع أن فكر سارتر قد ارتبط بإمكان ما مع نمط حياة بوهيمي، مع تقليد الحياة في المقاهي وطبعتها («*cafés*» مفتين بين ينظر إليهم كمهمشين ومحربين)، والأصل في ذلك نظام فكر فلسفي جاف والدخول إليه صعب في فرنسا الريفية وبالكاد خرجت لتوها من سموات الاحتلال، خلقت الموجة السارترية مع نهائيتها البديلة التي تستخدم معادج مستهارة من حصارات عربية والتي تتحدث عن الحداثة وعن الجار وعن الحب خارج مؤسسة الزواج، خلقت تعقيدات غير مباشرة مع شبيبة - «*Saint-Germain-des-Près*» التي راحت تكون نمط حياة على صورة العائلة السارترية وفي اللحظة التي تم فيها تحول المجتمع الريفسي الفلاحي في هذا الحي من باريس، كان سارتر قد تحول إلى رهبنة وإلى كميل.

إن المشروع السارترية قد تم تقديمه تبعاً لنظية هرمية منظمة بفصل الفلسفة التي تنظم كل شيء في القمة تبعاً لمناطق تأثير خمس، تضمنت المقالات النقدية، المحاضرات، المسرح والرواية، الراديو والسينما، وأخيراً الصحافة استخدم هذا المشروع «وسطاء وهمل»، أكثر شباباً، وقبولاً، بعض الممثلين المعروفين من قبل الجمهور مثل جوليت غريكو Juliette Greco، بوليس بيان Boris Vian، فرانسوا بيرييه François Perrier (الذي من شحصية هيمو في الأندلس القدرة)، ميري برسير Pierre Brasseur، جان فيلار Jean Vilar وماريا كاراريس Maria Casarès (الذين مثلوا على التوالي شخصيات عوتس Goetz، هيريس وهيلدا Heinrich et Hilda في الشيطان والإله الطيب)، سيرج ريجياني Serge Reggiani (فرانز Franz هي «محترجو التواء» أو أيضاً صوفيا لورس Sophia Lauren) (شخصية يوف في فيلم

مستقى من المسرحية نفسها) عملياً، لقد لامس هؤلاء الجمهور بأكمله، من الجمهور العالم كليا حتى الجمهور الواسع مارجا بديك بين كل الاحيال استعان بعود الفكر السارترى باستخدامه لمكان معين حي سان - جرمان دي بري Saint-Germain-des-Près، مع ما فيه من مقام ومن مساحة ومن برج كنيسة، بل أكثر من ذلك، لقد ارتبط هذا المهرود بأسطورة مكان أصبح فيه سارتر مثقفة العصري عند هذه الفترة صار هذا الفكر يرتقب تعديل التواريات العالمية، ويبشر بانتهاء المشروعات الإمبريالية الأوروبية، ويترقب زور هويات الشعوب المستعمرة، كل ذلك من ضمن رؤية عالم يختلف كليا عن عالم ما قبل الحرب

بين 1952 و1956 دخل سارتر وعلى مدى أربع سنوات رفقة درب مع الحرب الشيوعي الفرنسي، وخرج منها مثقولا، بدءاً من عام 959، كانت مواقفه السياسية إبلى حرب الحرائر قد أدخلته في مسار معين إذ هاجم السلطة النيفولية، معبراً في مقالاته الساخرة عن رفضه بل وتهشيمه لسياسة فرنسا الاستعمارية، بل هو قد أثار دراما فلسفية وطنية إذ رفض التعديب داعياً إلى العصيان دافعاً الحكم إلى السحابة عبر صراع لا هوادة فيه مع الجنرال ديغول de Gaulle. إبلى هذه السنوات اكتسب سارتر وضعية من لا يجوز لمس نهم، فدعي من قبل رؤساء العالم كافة، حيث لعب في العالم دور سفير غير منتدب، بل صار ممثلاً لفرنسا من خلال مهمة سياسية أخلاقية، لم يستطع حتى هذا التاريخ أي مؤلف أن يجاريه فيها بل أكثر من ذلك، وإبان شغله لوظيفته الإعلامية مديراً لـ «الأزمة الحديثة»، ومن خلال كتاباته الحداثية ورحلاته الكبرى، أصبح سارتر الناطق باسم العالم الثالث، والمتحدث الأقوى باسم المهشمين والمغيبين. مع طباعة كتابه «الكلمات» عام 1963 والذي

شكل انقلاماً هي الكتابة إذ كان «وداعاً للآلئ» كما كان يتصوره حتى ذلك الوقت، ثم كان العام التالي ورعصه لجائزة نوبل Nobe هي الآداب، وانحراطه في معارضة جدريه لحرب هيتلر وقيامه بمهمه رئيس محكمة راسل Russell ضد جرائم الحرب الأميركية بعد امتد سارتر أكثر وأكثر عن مهج المؤلف النموذجي

وأخيراً، إنها مرحلة سارتر الأخير، الذي مهدا له أعلاه بمعه المحموم على اثر واحد، الأخير، حول فلوير، فلوير خاصة إنها تجريب في نوع آخر من الكتابة الكتابة الصحافية مع خلق وكالة أنباء صحافية ثم جريدة يومية «Liberation» إنه القول بدور الحامي لمختلف الجماعات المعاوية التي تهددها السلطة، ثم كان العمى أخيراً والسنوات الأخيرة التي أمضاها بالعمر من خلال سكرتيره بيير فيكتور Pierre Victor (الاسم المستعار بي ليفي Benny Levy)، على اهتمامات غير عادية مثل الدين وبطريقة غير معتادة

غير مختلف مفاصل هذه المسيرة المدهشة، استمرت بعض الاهتمامات من بداية حياته المهدية حتى آخرها وبعد مرحلة التعرف إلى نمط النمط والمعامرة - من أجل الفلسفة بقطبها الألماني والرواية بقطبها الأميركي - وبعد الحشرية لمن يعيش لتسيف والموسيقى والفنون التشكيلية، وبعد ضرورة الرحلة، وبعد الشغف بالحديث والحديد، وبعد الاهتمام بثقافة العبر وتصفية الحساب مع فرنسا الاستعمارية أو أميركا الإمبريالية بعد كل ذلك كانت العودة إلى فرنسا فلوير القرن التاسع عشر، ومعها كما رأينا أعلاه لم يقطع سارتر عن شق طرق جديدة من الأمر الذي يبدو لي حالياً حديثاً بالدراسة، لا يربط بالمرحلة التي عرف فيها سارتر مجده، المرحلة التي توحد فيها مع عصره، من

هي مرحلة سارتر الأولى أو مرحلته الأخيرة، مرحلة كدب في علة اجتماعية، معرل ببحث وهو هي تناهر معها

مع العودة إلى الورا، تبرز معص التبعات، مطبقة أنواراً جديدة، ومدرسة تعاسكاً حقيقياً بين الموقف السيئة وأعمال هذه المسيرة العريدة وحين أقدم سارتر في الرابع عشر من تشرين الأول أكتوبر 1964 على الإمساك بورقة مربعة الشكل ليطلب من لجنة جائزة نوبل عدم ذكر اسمه في حال وقعت التسمية عليه من أجل جائزة نوبل للأراب، قام بعضهم بتحليل هذه الحركة معتبرين إياها نوعاً من الإحراج المسرحي أما الواقع فكان في مكان آخر تماماً إن رفض جائزة نوبل لأسباب شخصية كما أعس عساً، كما رفض قبل عدة سنوات استلام وسام جوقة الشرف، إن هذا الرفض لم يكن يعني سوى الرفض الحيد للتوقف في مسيرته<sup>(18)</sup> إن الأسباب الخاصة التي سنطيع إعادة تعميدها تحت اسم «الأسباب السارترية» ألم تكن هذه مكتوبة صمناً في النصوص الأولى من فلسفة سارتر؟ «مع نظر الآخر، يفلت الموقف مني، أو لأستخدم عبارة سحيقة وإن كانت توحي بدقة عن أفكاري، لا أعوذ أنا سيد الموقف [ ] إن ظهور الغير يصفي على الموقف مظهراً لم أكن لأريده، ولا أما سيده، بل هو موقف يفلت مني لأنه من حيث المبدأ هو موقف من أجل الآخر»<sup>(19)</sup>

ماذا أعرف عن سارتر إذا؟ إذا أخذنا لحظات من مسيرته بإمكاننا استعادة العراسلات الجديدة، وإظهار النقاط، وإصح المسائل الحساسة في تعظم الحسابات الوطنية. وربما أيضاً، وبعد الحاجة، إصافه بعض مندولاب إلى الساعة.





## الفصل الخامس

### الإلزام وبريفورد أو رفض القديم

عام 1963 أصدر سارتر «الكلمات»، وهو كتاب هام بدأ السياق عبر رواية حديثة لقصص حب ثلاث، قصص حب لم تكتم قصته مع أجداده لأمه، وقصته مع أجداده لأبيه وأخيراً قصته مع أهله تندرج القصتان الأولى أو هما تفوصان في لاحتلاق والمعاق والفرف الاجتماعي أما القصة الثالثة فهي تتوغل بوصف بعد عدة أشهر من بحثها، يأتي ذلك بعد وفاة وبده هكذا يبرر الكاتب نفسه في هذا السيماريو الالفت والمدهش، وهو سيماريو مؤثر مليء بالمهارة الفنية في الكتابة، شاعري به رواية السنوات الاثنتي عشرة الأولى من حياته

لدى قراءتي «الكلمات» تكوّن عدي حدس بأن سارتر قد استند إلى عائلته لأمه آل شفانثر Schewitzer، نوع من المسؤولية الوحيدة الحاس حول دهنه الحاضر ككاتب، مشيراً بشكل حاس إلى جده لقد قررت آنذاك وجود عنصر لا بد من العمل على حله، وقد ذهبت إلى حد المفارقة في محاضره سارتر في تركيب تاريخه الحاضر. وقد وجدت نفسي مدفوعة في دفع باب هذه الجهة من نيعيه (Thiviers) التي تركها هو في الظل، وأن أقوم مدى انعراسه الرمقي الفرنسي، واستعيد

المكانة الاجتماعية لعائلة سارتر، وكما أعيد بناء تطور عائلته، وأن أوضح مكانه هنا «الصني» في وسطه.

حين يقتحم فكر سارتر فرنسا الجديدة، بأحد تأمله حينها إشكالاً جاسمة، بل عيية، وأحياناً بأحد شكل الصعوبة أولاً صد فرنسا المقصدة التي أشار إليها في «الفتية» بالموهبة التي يعلمها كل الناس «إنه الأحد خلف أحوال السفن، على طول الشاطئ، قريباً من محطة المصانع وحول المدينة بأسرها نجد عديد هارعة وآلات ثالثة في السواد [...] في كل الصواحي، بين جدران المصانع التي لا نهاية لها، نجد قنات طويلات القامة سوداوت «طور وقد شرعن بالعشي، إيهن يتقدمن ببطء نحو مركز المدينة لاستقبالهن اتخذت الشوارع مظهر أيام سهيج الشعبي كل المحلات باستثناء ما كان منها في شارع «Tournesbridge» قد أزلت سنائرها الحديدية بما قريب ستقنم هذه الأعمدة سوداء هذه الشوارع التي تجعل الموتى [...]، مما قريب ستشهد فرنسا أيام الأحاد ولادتها، بين المحارر العقلة والأبواب المغلقة»<sup>(19)</sup>

بعمل استقصائي شمل تيفيه Thiviers وباريفي Perigueux، وبعد العثور على أصول أرشيف على جانب من الأهمية كان في حوزة عمه سارتر السيدة ليمان (Lannes)، وبعد العودة إلى ميفات والده جان مانيست سارتر Jean-Baptiste Sartre في أرشيف مدرسة نوليكيميك Polytechnique، وأرشيف البحرية ووزارة الدفاع، استمع أن أعيد تركيب العلاقات المعقدة بين العائتين اللتين ارتبطتا ببعضهما، من هذا الارتباط كان كائنا ولأنه احتدر عدم الكلام عن تلك، فقد قمت مطولاً بدراسة الوثائق التي كان مصدرها جنوب شرق فرنسا. وما توصلت إليه كان في الواقع

شهادة على الانحلال المطلق لعائلة مرجوازية شديدة العنى والارتمار في القرن التاسع عشر. لكنها شهدت بعد ذلك بصوب الراسمال بل شهدت وبأقل من عشرين سنة اختفاء كل العناصر المبنية، أو التي يمكن أن تكون مسجدة، والتي إليها تعود أصول جان - بول سارتر، من هؤلاء، عمه الكابيتان فرسريك لبياس (Frederic Lannes) الذي توفي في الحرب بين 1914 و 1918، والده جان باتيست (Jean Baptiste) احتفى في أيلول/سبتمبر 1906، بمرح من معي في كوشيمشي (Cochinchine) [في فيتنام]، أما جده الدكتور إيمارد سارتر (Eymard Sartre) فتوفي في تشرين الأول أكتوبر عام 1913، وجدته الودي (Élodie) توفيت عام 1919، وابنة عمه آني (Annie) توفيت عن عمر يناهز الخامسة عشرة عام 1925، وعمه جوزيف (Joseph)، المشرف عليه، توفي عام 1927

لنفتح على سبيل المثال صفحة المراسلات التي حصلت في تشرين الأول 1916 بعد وفاة جده، الدكتور إيمارد سارتر، وهو المنحدر من عائلة متواضعة من فلاحي Puyfebert، ثم أصبح طبيباً في ريف نيميه وروجاً لالودي شافوا Flodie Chavon ابنة صيدلي المدينة إنها شبكة من الأعيان المحليين تظهر لنا، مع عدد من العدلات الارستقراطية المختلفة، أرباب المملاك، كتاب العدل، أعضاء في مؤسسات وطرق دينية - أسقف كاندرائية باريسي (Perigueux)، والمشرقة العامة على راحات القلب المقدس في أوبازين «Aubazine» - رئيس المحكمة المدنية، قاضي السلام، والكتب، رئيس المجلس العام في دوردون (Dordogne)، وعصو مجلس دوردون، عصو أكاديمية الطب، كل الكهنة المحليين، في مساحة جغرافية تمتد من نيميه إلى باريسي، ليموج Limoges، بورجو Bordeaux، منطقة الكريز Correze ومنطقة لوت Lot

بين عائلته شعاعيتور وسارتر ثمة تعارض يشعنه التعارض بين فرنسا كاثوليكية وفرنسا بروتستانتية، بين فرنسا مدنية وأخرى ريفية، فرنسا التقدمية، فرنسا العربيين من أصول ألمانية، وفرنسا الراديكالية المستقلة رراعياً هذا المحذر من الجانب الأيوي وبدي على ما يظهر لم يكن لسارتر ما يكفيه من الوقت ليقوم عليه أسجائه، قد يصمم رجال سياسة على حاسب من الاقتح والجدرية أشخاصاً علمانيين وجمهوريين، مثل جده الذي كان صبيب الريف الذي حاول انتهاك جرر الجمود والعمل على تسوير السكان في الضيق الصغيرة والأبراج المصبطة الذين يتكلمون لهجة محلية ويطلقون مع ذلك تحت تأثير السحر، بقللاً إليهم الطب وأصول الصحة العامة والثقافة<sup>(٢٠)</sup>

لننظر أيضاً إلى الفروق بين الأخوين، صغير العائلة جان - باثيست والد الكاتب، والاح جورج عمه أخ أبيه بمسيرة جان - باثيست تبدو لنا مسيرة ابن موهوب، طموح، مغامر هائل على بكالوريا مزدوجة في الآداب والعلوم، حريج البوليتكنيك الذي اختار مهنته في البحرية، ومسيرة جورج، مسيرة رجل عجلي بحيل، وسجين والاختلاف في قدرهما يبدو مشكل لامت حين بقرا المرسلة التي تبادلها الأخوان والتي وجدماها هي حرنه السيدة بييس، عمه سارتر في ياريمي، على ما هو متوافق عليه، - هذا ما كنهه العم جورج الوصي على الكاتب ملعة كتاب العدن، مضيقاً «إسي أنسى أن تأخذ السيدة مانسي Nancy والسيدة ليداس الأثاث ندي يعجبها، ما عدا الساعة التي أود الاحتفاظ بها، إلى جانب الطاولة الموجودة في العرفة نفسها مع الساعة التي أريد الاحتفاظ بها لقدعه الطعام عدي، وإذا ما أحدثت السيدة ليداس المقعد الجصير في عرفة الاستقبال فلتترك لها خيار المقعد الموجود في غرفة الوندة، أو الموحود في عرفتها مع الكرسي المرتفع في

قاعة الصغام علماً أن السيدة لباس عندها مثل هذه الكرسي هي باريبي ولتأخذ ما تريد معد ذلك جان - باتيست سارتر (هكذا).<sup>(21)</sup> بعد سبع عشرة سنة يقوم جان - باتيست وكان شاباً في البوليتكنيك بإرسال رسالة إلى أخته يمتدح فيها المركز الذي وصل إليه بالارتباط بما له من موهبة وأختي الصغيرة الطيبة، ها أن أمي بوعدني وسأحدثك عن الحفلة الراقصة يوم السبت، لقد كانت حفلة رائعة، شديدة التنظيم [...] كان العديد من المدعوين بري موهب، وباريبي موهبة جميلة، مثل صباط ومهندسي البحرية، وكان بين الحضور وزير من الطلاب القدامى، كافايماك Cavaignac وعوياس Guycase، وبعد الساعة الحادية عشرة أعلن مجيء السيدة فور (Faure) [ أخوك X سارتره<sup>(22)</sup> ]

إن مراجعة المراسلات بين آن - ماري Anne-Marie والدته «سارتر» وأسبائها معد وفاة جان - باتيست تظهر لإرعاجات المؤثرة بين أفراد عدة ينحدرون من عالمين مختلفين وتظهر مساهمتهم الصعبة، وموقع الرهينة الذي كان ابنهم فيه آنذاك وهو ما بين اسامعة إلى الحادية عشر من عمره. وبالفعل، وبعد وفاة جد سارتر، كان العم جورف الذي أصبح الوصي على الولد والذي، وبهذه الصفة، كان له صفة حق النفقة عند جان باتيست على ولده إرعاجات ذات طابع قضائي وإداري، صارت بالوقت نفسه ذات طبيعة مالية حين رقص جورف سارتر إعطاء شك إلى آن - ماري إلى المدحلات المختلفة التي أعلنها أمام أصدقائه روحها تفصح عن الصعوبات الحقيقية التي تعرضت لها وسط هذا «تمدرج العائلي والثقافي المعاند وبعد رواجها ثانية من جورف مانسي Joseph Maney عام 1917 استعادت حق نوصاية على ولدها.

أناحت لي هذه الأوراق أن أعود للنصوص وأن أعطي لها قراءة عنده هكذا تبدو لما بوعيل (Houville) في «العشاء» كما لو كانت مكاناً ثانياً يرمز إلى تبعه أكثر مما يرمز إلى هاجر كما كان الاعتقاد سائداً كما أن المعلومات الدقيقة حول التحدير من جانب الأب تسعدنا كثيراً على فهم الإغراءات الكثيرة التي كانت في صلب الأسئلة المثارة حول «أبله العائلة» هكذا تبدو مقارنة النصوص مقارنة مفتوحة، خاصة فيما يتعلق بالطريقة المبتكرة جد وبني يعمد فيها سارتر لمساومة تحدياته الاجتماعية ورفضه لفرنسا الريفية التي يعرفها جيداً إن تقديم هذا البلد الشديد التفكير، بلد الأعيان الريفيين، فرنسا الأرض الزراعية التي وأجعت صعوبات في التحديث بعد الحرب العالمية الأولى، هذا البلد كس موضوع تحليل المؤرخ أوجين فيسر (Eugen Weber) في كتابه «Peasants into Frenchmen»<sup>(23)</sup> إن كراهية هذا «الحاجب من تيفيه» والذي لم يجد تعبيراً مباشراً له من قبل سارتر، فهي كراهية لم تطلق واقعاً على الإطلاق من حاسبه إن الرفض السارترى للجدور كان سبباً لمرور فلسفة الحرية، وتقديم الإنسان المفرد بشكل ما قبلي، ومراراً أخلاقية القطيعة هالكاتب الذي هو سارتر سيجد نفسه وإن جرحياً نتاج فرنسا الأعيان الريفيين التي لم يقف عن مهاجمتها وقبها هذه المادة ما زالت ناهداً إلى المقارنة «شديدة الصدة»<sup>(24)</sup> التي كتبها سارتر ونشرها عام 1919 بعنوان «فرنسوا موريك François Mauriac والحرية» في مجلة «La Nouvelle Revue Française»<sup>(25)</sup> مهاجماً موريك دون شك بوصفه هذا الممثل الأدبي لهذه الدخاوية في الجيوب الشرقي من البلاد

وفي «Carnets de la Droite de Guerre» نجد نصاً رائعاً يستند فيه سارتر صدى هذه الكراهية لما هو ريفي حيث كان

سرتتر على الجبهة في الشرق فهو يروي لنا نتيجة إجلاء السكان في الإلراس واللورين نحو الجنوب الشرقي. من الصواغر الأكثر إثارة لجدد في هذه الحرب النقيضة كان النقل المنهجي لأهل الإلراس. لقد تم إرسالهم عند القرويين عمال البناء، أحر الناس، المتأجرين المليدين، المنعطفين للربح، والدؤساء هؤلاء الإلراسيون الذين ما زالوا ميهورين بذكرى ثقافتهم المبهجة والمشغوبة، وذكرى مبارلهم الجميلة قد وقعوا في هذا الريف، في هذه المدن الموحشة، عند هؤلاء الناس المشاكسين والقبحيين، المتسحين في معظمهم [..] كانت قواعد النظافة عندهم مما يثير الصدمة في هذه المدن الصغيرة مثل نيفيه، حيث نجد ومنذ اثنتي عشرة سنة، القادورات المبرلية والبرار تصب في الأماكن القذرة يظن أن النتيجة من ذلك كله ستكون واضحة كل هؤلاء الإلراسيين الذين يكتبون لبلدهم بصفتهم هؤلاء القرويين بالمتوحشين [..] من جانبهم وبررة عمل يعامل القرويون أهل الإلراس كب لو كانوا من الألمان ودون عداوة خاصة على ما يظهر<sup>(26)</sup>.

في هذا النص غير المعروف جداً نجد أولاً صوره 34 سنة يكتب بترثرات لم تتوقف أبداً إنها أن - ماري شفائتر التي وصلت إلى نيفيه أن - ماري شفائتر تحكم على أسبابها وعلى مواطنيها العرييين عن ثقافتها. بالتأكيد، أبدى سارتتر حساسية قوية تجاه هذا النمط من المواجهة. ولما قام بتمحيثها طيلة فترة عمله كاتباً فالموقف هذا يجب وضعه في علاقته مع حقه عن ما يسميه «إيديولوجيات الانطواء» التي أشار إليها لاحقاً في «مسألة المنهج» حين تطرق إلى باسدرز Jaspers «إيديولوجية الانطواء هذه تعبر موضح كما عبرت بالأمس عن موقف العاين



عبيده متشبثة برأيها بعد هزيمتين، وعن موقف بعض المرحجوازية الأوروسية التي تريد تحرير الامتيازات بآرستقراطية في النفس، والتي تريد أن تهرب من موضوعيتها إلى نائية حادة وأن تعجب بحاصر ماثق الأوصاف حتى لا ترى مستقبلها من الناحية العسفية تعتبر هذه الفكرة الرجوة والعاكرة محرر استمرار في الحياة، وهي لا تقدم مائدة يرحى منها.<sup>(1)</sup>

لاحقاً، ومن خلال المحاولات المتعددة التي قام بها سارتر للتفكير في الحديث، وللتنحليص من إطار الجامعة الشديدة النقد، وللمبحث في مقامات الأخرى عن عودة للاصالة وعن حصص جديد ومن أجل إبطال السلوكات الحائفة والتأني في التاريخ الفرنسي الجمعي، حينها سيشعر بوقع هذا التوتر بين الإلراس Asice وبريفور Perigord وما كان له من تأثير على المؤلف

## الفصل السادس

### الأداة الفلسفية الكُليّة القدرة

من قراءة الكلمات، ومن خلال عدم الاستجاء الرمزي (الكروبولوجي) بحجة تنظيم حاصع للسيطرة، في إمكانات أن يكشف برعة تهدف إلى تشويش آثار تاريخها الخاص، وكان الكاتب قد جهد ليبقى دائماً مهما كلف الأمر، وأن يطارد من يحفون به لو حاولوا أن نفهم في أية لحظة من مسيرته تمكن سارتر من مراقبة صورته الخاصة، وتمكن أيضاً من أن يصبح سارتر الذي أصبحه، وفي أية لحظة اختار أن يأخذ أداة الفلسفة أداة كسبية القدرة وأداة تمكن من تملك العالم، ومن لعب دور الوريث المدمر الذي لم يفصل عنه إطلاقاً، فإبنا سنجد تلك منذ وقت مبكر منذ وجوده في معهد المعلمين للعالي في آذار من العام 1925، وجيبها لم يكن قد بلغ العشرين من عمره.

أواسط سنوات 1920 حين دخل سارتر معهد المعلمين العالي في شارع أولم، كان للمعهد ما رآه يعاصي آثار حرب 1914، قلة تنظيم في الحفاظ على النظام التقليدي، تحرك بين الطلاب، المشاكسين في العودة إلى الصفوف بعد تحررة الحياة في الحديق، غالباً ما تنطلق عليهم أعراض الأولاد الذين لا آباء لهم،

الدين يحاولون خلق أنفسهم بأنفسهم<sup>(28)</sup> وإذا ما حاولنا استعادة تحليلات دانيال ليمدنبرغ Daniel Lindenberg حول هذه «اليوتوبيات في أوساط طلاب معهد المعلمين العالي والتي تعود جيلًا بعد جيل»، فكيف سنرى إلى خصوصية وإلى وصعية سارتر في أوساط دورة 1924<sup>29</sup> مفصل عدد الساعات الطويلة التي لا عد لها والتي قصاها بين رفاقه في معهد المعلمين العالي، ومفصل صورهم، ورسائلهم ومذكراتهم للجمعية، وذكرياتهم، واستعداداتهم، مفصل ذلك كله حاولت إعادة تكوين الوسط الجامعي ما بين الحربين، كما حاولت أن أعيد تأليف المكنة التي شغلها سارتر بطريقة دقيقة.

بمراجعة العديد من النقاط نجد توافقاً في العديد من الشهادات إذ يبدو سارتر وسط جماعة المعهد في تلك الحقبة من دراساته في السنوات الأخيرة من تلمذته، يبدو فرداً ناضجاً قبل الأوان، وقد كوّن لنفسه رؤية شديدة للعالم، يبدو شخصياً يستثير الإعجاب بفضل ما له من «امتيار كبير» جون باييو (Jean Baudry)، كما بلغت الانقياء «بقوة علمه، وبجرأته وبقدرته العقلية، جورج عونفيلهم (Georges Canguilhem) ومكاريرماتيينه» لقد كانت له مجموعته، ثمة فئة صغيرة تكوّنت حوله، أولغيه لاكمب (Olivier Lacombe)، وبقوة صفاته «لقد تكوّن كلياً» لقد أراد أن يكون كاتباً ولم يفكر مشيء عدا ذلك، أرمون بيرار (Armand Berard) ومسرواته «سارتر كان مصحكاً، لم يكن جدياً، كما منكر في كل شيء على ميران» هنري غولامين (Henri Guillemin)، بفرحه في الحياة والعيش «كأن يقتنع بالحبور وبصوت جميل كما سمعته في الممر إذ يفني ورأسه تحت جمعية المياه» روبير ليكو (Robert Lucot)، ومزاجه «سارتر ونيرلي كانا مصحكين، لقد كانا

اللاثنين (الوحيدين) القادرين على إصباحك والديـه روبرت - لويس فاعمر (Robert-Louis Wagner)، شديد المراح جورج عونـغـيلـهم (Georges Languehem)، كلـى أصيلاً، «كان له لغته السارتريـة، التي تقوم على استخدام أسلوب احـنـفـالي مسـنـعـار من منام دي ساعبر de Segur، حتى لو أراد أن يقول أشياء تفهـمة، إذ يقوم بدلت لا يهدف أن يصدم المستمع بل بهدف مفاجأته» ريميه فريدي (Rene Fredet)، كل شيء كان يوحى بشغفه بالأدب «ثمة أسطورة تترافق مع رواية سارتر الجميع يتكلمون عنها وهم يعرفون أكثر أو أقل عما يجري داخلها، جون بايـيو (Jean Bailleu)، بالنسبة للسبب، «كان يتحدث عنها بطريقة تثير الانتباه وبموهبة من يريد أن يجمعك تكتشف عيلاً عبقرياً، في صالة تقع في عمق الدوار العشرين، ريميه فريدي (Rene Fredet).

كان سارتر شديد السعي لتطوير فكرة أصيلة تجمع كل الحقول التي يتصدى لها، إذ أظهر ومنذ سن الثامنة عشرة أنه طويل الباع في علم النفس والفلسفة والأدب وعلم الجمال، كما أظهر رسوخاً قوياً في مقولاته الفكرية «كل أسبوع، كل شهر، كنت له نظرية جديدة، كان يطلعي عليها وكنا نتناقش فيها» ريمون آرون (Raymond Aron). تقوم قوة سارتر على امتلاكه لمشروع حمالي قوي يجعل مما عداه أداة، بل من الآخرين أيضاً أداة له «الفلسفة بالنسبة له أداة لفهم الذات، كما هي في الوقت نفسه أداة إنتاج أدبي، وهنا ما أكدته هو بعد عدة سنوات «ممد اللحظة التي عرفت فيها ما هي الفلسفة، بدا لي طبيعياً أن امترصها، أو افرصها في الكائنه»<sup>(26)</sup>.

عام 1928 أحقق سارتر في الامتحان الحظي للتأهل لتدريس الفلسفة أشياء أداء مياراته الأولى إنه اللقاء الأول مع الدين

يعسكون بالشرعية الثقافية ومين أحد أكثرهم لمعاداً، وأحد وأرثيهم الذي لم يرد، بل لم يعرف أن يساوم معهم «كانت مسابقة تاريخ الفلسفة قد تناولت موضوعاً في المقارنة بين أرسطو Aristotle وأوغست كومب Auguste Comte أما مسابقته سارتر فكانت مضيعة. هال (Wahl) كان يقول إنها مسابقة غير جيدة» ريمون آرون (Raymond Aron)، «إن سقوطه هو علامة على عدم تفهم اللجنة» موريس دي كونديلاك (Maurice de Gandillac). ثم كانت السنة التالية وحل سارتر في المرتبة الأولى، ما يجعلنا ندرك صعوبة موقفه النقدي والحلاف بالمقارنة مع النظام المؤسساتي «حين كان عمري 20 سنة، يكتب سارتر فيما بعد، كان الجدل مرعباً، حتى إن هيجل Hegel كان مجهولاً عن قبلنا [ ] خلافاً لذلك كان يصار إلى تعليمنا منطق أرسطو والمسطق الرياضي»<sup>(١٦)</sup>

كان دخول سارتر عالم الفلسفة قد تم مباشرة تحت رعاية حبة الأمل والشعور هذا كان يعم غالبية الطلاب أمام المؤسسة الفلسفية الفرنسية في سنوات ما بين الحربين، «لقد تكوّن لدينا، نحن والآخرون، الشعور بأننا عرفنا الدرك الأدبي في تدريس الفلسفة في فرنسا وقد كان ذلك فيما نعتقد، نتيجة مباشرة لحرب 1914، لم يكن عنديا عن الفلسفة الألمانية (وعن كتابات فرويد Freud مشكور خاص) إلا شذرات بسيطة فقد كان هامسبين (Hamelin)، معروفاً عندي أكثر من هيجل وقد قرر سارتر أن يسير مسرعة مردوحة حتى يحد هذا التأخر» (René Assiet) «سم يكن سارتر ليهتم كثيراً بالفلسفة الجامعية الفرنسية، أو بأساتذة مثل بروشفيغ Brunschwig، أو لالاند Lalande، وقد كان معانداً لاساتذة السوربون Sorbonne لم يكن هؤلاء العاس مصحكين، وكان

بينهم نماذج فقيرة، جورج غومبيلهم (Georges Canguilhem) «كان سارتر وميران Nizan يجادل (Bouglie) شديد الوضوح، وكان شدددي الاهتمام بمحاضرات دلاكروا (Delacroix) وديماس (Dumas) في علم النفس، جورج ليفرون (Georges Lefranc)، في عالم الفلسفة المورخ بين شخصيتين ميسطرتين برغسون Bergson من جهة، وبروشفيغ من جهة ثانية، أظهر سارتر قطيعة مزدوجة إذ ثار ضد عقلانية بروشفيغ باسم الرومانسية، متعرضاً لصوفية برغسون باسم الواقعية بالفعل، فإن سارتر لا يتعرف إلى نفسه، ولن يتعرف إطلاقاً في العلموية الوضعية من لوغست كونت Auguste Comte حتى لوسيان هير Lucien Herr، بل هو يبحث عن بهامه إلى جانب برغسون أفكار عن الإبداعية وعن الحرية تطور موقفه يصعب البقاء عليه، فهو موقف لا يمكن أن يكون روحانياً ولا وضعياً، بل يأخذ بفلسفة حرية علمانية بشكل كلي، إنها برغسونية يسارية، محلال المرحلة الأولى من حياته الثقافية، كلها تقريباً، نحن سارتر الفلسفة من قياة علم النفس، مخصصاً ساعات عدة في مراقبة المرضى في مستشفى «Sainte-Anne» وعلى مراحل، كان يعود لذلك لاحقاً «إن فكرتي عن الدائرية وعقلايتي، يكتب لاحقاً، هي فكرة ستتغرز وستتخلص من هزالها وبالفعل، فأنا كتشفت الجسور في مستشفى «Sainte-Anne»، كما اكتشفت المجتمعات البدائية»<sup>(32)</sup>.

في وقت كانت منه الفلسفة الفرنسية تعوص في مؤسسة ترفض كل إحالة إلى ثقافات أخرى (وبخاصة الانغلاق على الفلسفة الألمانية)<sup>(32)</sup>، أدرك الطلاب أنه كان يصار لمعهم من إعدده طرح أي تطور أو بحث أو فوصل، بل أي ابتعاد على ما يمكن لتقاليد فلسفية أخرى أن تحمل إليهم وسط هذا الجيل من

طلاب معهد المعلمين للعالي الذين هزتهم طموحات عفوية من أجل الوصول إلى أشكال تدريس أكاديمية، في هذا الوسط بدأت شيئاً بعد شيء فكرة وجود الفلسفة في مكان آخر، وأنه لا بد من استخدام كل وسائل الهدم الممكنة للاستفادة من مصادر التقاليد الأخرى طرح سارتر الشباب ومدّ وقت مذكر مسأله المؤسسه وقد اعتقد أن الجامعة الفرنسية طوق تحصص الضرورة الفلسفية إلى سيطرة الاستراتيجيات الجامعية والسياسية ولا يمكن إعادة إحياء الفلسفة وإظهار قوة الفكر، إلا بالقطيعة مع هذا التقيد.

الا يعتبر سارتر أحر مثل على عالم تكون فيه الفلسفة، باستنادها إلى مؤسستها وإلى كهنتها، قد لعبت دور القالب القوي والمشروعة اجتماعياً، محتبطة بقوة رمزية هي الاستحواد على العالم الثقافي، ألم يكن سارتر وهو الخارج من قمة هذا الهرم والمزود بالأداة الفلسفية، الأداة الأعلى، وهو الذي طلقها على كافة حقول الإنتاج الثقافي، وهو الذي جعلنا نؤمن بهذا بحلول هذه القوة الكلية»

## الفصل السابع

### الوريث الممنوع

كل الشهادات التي أطلقها زملاؤه في معهد المعلمين العالي تعود بنا إلى سلوكه وسط المجموعة التمرد على السلطة التمرد، السخرية، البسالة، وهذه الإرادة بمقاومة السلطة القائمة، التي أظهرت سارتر على الدوام، إن ذلك كله قد ظهر فعلاً في سنوات 1923.

انتمى معظم طلاب معهد المعلمين العالي المستبشرين إلى مجموعة من مجموعة الاشتراكيين، مجموعة الشيوعيين، مجموعة «أهل السلم» أو أيضاً مجموعة «فالوا Valois»، وفي مجموعة الاشتراكيين كما جوالى خمسة عشر عضواً منهم أرون (Aron)، ليفرون (Lefranc)، ليمبل (Lehail)، ماييو (Baillou)، بيريت (Peret)، سيمي (Peguy)، غويون (Guyon)، هرلاند (Herland)، دايكسون (Deixonne)، وروسوديهيه (Broussaudier)، أحد محرري اليسار الاشتراكي وكما من مناصري المنطقة الخامسة في SFIO إميل ديلاينيبي (Émile Delavenay)، أما الشيوعيون فكان في صفوفهم بروهات (Bruhat)، غوبيو (Cogniot) وآجرون، وأنا كنت متعاطفاً معهم سار فيلار (Pierre Vilar)، أما جماعه أهل السلم فكانت جماعه



تألفت من طلاب آلان (Alain). لقد كانوا جماعة تتصرف بطريقة  
 ميتشوية من أجل تحميس عدد من الأشخاص، وقد اصطهدها العديد  
 من الأشخاص [...] لقد تصرفوا كأوعاد، وكانت مواقعهم مواقف  
 اصطهادية جفيفة. رينيه فريدي (Rene Froid). هذه الجماعة  
 المؤسسة والتي ظلت جماعة تسلطية طيلة «سنة رمزية معينة كان  
 عويعيلهم أحد رؤسائها وأحد «أكثر المحركين لها»، لقد كان أحد  
 مسالمي معهد المعلمين العالي. تجاه هؤلاء الذين يتدرجون في  
 شرعية اجتماعية والذين كان لهم مشروع انصهار اجتماعي «لابيل  
 وأما كنا ألوهيديين الذين يعرفان أنهما يقومان بعمل سياسي  
 حترافي» جورج ليفرون (Georges Lefranc). أما سارتر فكان  
 «شار» «لقد كان موضوعاً بشكل عموي» ريمون أرون  
 (Raymond Aron). «كان سارتر شكاكاً» موريس دو كوندريك  
 (Maurice de Gand, lac). «لقد ظل طيلة حياته طفولياً من الناحية  
 السياسية» بكل الأحوال لقد كان صغراً في التاريخ. جورج ليفرون  
 (Georges Lefranc)

خلال عمله في المجلة السويدية ومباشرة العديد من حديثه،  
 استند سارتر أن يحرك قدراته في التمرد<sup>(١١)</sup>. «سابقاً كنا نبيدي  
 سحرية معينة تجاه الصباط المدرسين، كما تجاه الاساتذة، لكن  
 دور حدث عام 1925 تغيرت اللوحة، وصاروا يلعب مشاهد فمور  
 أكثر عبها» (Robert Lucot) إن استناد سارتر للمؤسسة ظل  
 حساساً في محال كل صحيفة سوية «إن فرحه بالحياة يفسر لنا  
 دوره الراجح في المحلة، إنه العائد الفرج، الحضور والمفرط  
 الحيوية مع رفاقه» (Rene Lucot)

اتحد سارتر من عوسفاف لانسون (Gustave Lanson)  
 صورة السلطة بامتياز (وكان لانسون مدير معهد التعليم العالي

لحوالي ربع قرن)، وكان شخصية مركزية في بناء الدراسات لادمية في فرنسا، له ثقله الملموس على العالم الجامعي كانت سياسة لاسون تقوم على جوانه «لطلب الدولة متأهبل فرقة من انخبط القدرة على التحلل في أية جهة، وذلك استناداً إلى سلاحها السري إنقار الخطاب»<sup>(14)</sup> ومع ذلك فقد كان لاسون على وعي تام بأن وظيفة معهد المعلمين الووعية لم تكن «ملء الكادرات بالشخصيات المناسبة، مقدر ما يجب أن تكون حميرة وأن تعطي مستوى»<sup>(15)</sup> في «الجمهورية الثالثة للآداب»، وفي «من فلوبير Flaubert إلى بروسست Proust، يذكر أطوار كومبانيون (Antoine Compagnon) أن لاسون في مقالته عن «أولية الأدب»<sup>(16)</sup> كان يمثل شخصية ساحقة لسارتر ويخصي مردوج، بالفرن، فهو يصيف شارحاً أن «الأولية الأدبية تنتمي إلى الجمهورية الثالثة لأن تاريخ الأدب الفرنسي [ ] قد شكّل إجيل بوطن»<sup>(17)</sup> وقد شكّل سارتر نقطة قوة في موسوعة الجمهورية الثالثة، مصيفاً، أنه قد كبر في ظل بوايكاري (Poincaré) [...] وفاليير (Fallieres)، وهريوت (Herriot) وقد تدرب على جده اندي يصوت راديكالياً «حرب الموظفين»<sup>(18)</sup> إن تمرد سارتر قد طاول السلطة الادبية التقليدية، كما نقلها جده شفاينرر، ممثلة بفوستاف لاسون عبر تصفية حساب شخصي ابتداء من أعوام 1920 والذي لن يكون له نهاية أبداً على ما يظهر

عام 1927، وبموجب شهادة بيير فيلار Pierre Vilar، «نحطى سارتر كل الحدود» (قامون مول بونكور Paul Boncour كان قد اقر، مع انتحسير العسكري الخاص «يحب توحه كل ثروات البلد باتحاء الدفع الوطني»). إذ صدرت عريضة تعارض هذا القانون «كان ذلك بيان سارتر النظري قد يكون ثمة حق بأن يصار إلى العرص على

الغير أن يكون حذواً، لا أن يكون ضابطاً، هذا ما أكدته، وقد وقعت العريضة (مير فيلار)، التي نالت توقيع 94 شخصيه وفي الصحيفة السدوية، حمد سارتر الكاتب كامبوزاب (Cambuzat) - الصابط المسؤول عن الإعداد العسكري في معهد المعلمين وألف أعية بمثابة نصيحة. «أعد أنحل على المجلة دعة معادية للتجديد العسكري لم تكن معروفة حتى ماريجه. أما الكاتب كامبوزاب فقد أحد الأمر بتساهل، في حين أن مدير المعهد عوستاف لابسور قدم له اعتذاراته، وبيع الطلاب - وكان اسمه قد توفي إبان حرب 1914 قام سارتر بالاعتراض قائلاً إنه لو ظل لابسور نظراً لسنة عرييا عن الحرب، فإنه (أي سارتر) ورفاقه سيكونون إما من فاعلي الحرب أو من ضحاياها بذلك كان سارتر يؤكد على استقلاليته لأحلافية» (رينيه لوكوت) أرسل اللوم على الطلاب، وقدم التورير تقريراً، كما أشارت مقالات صدرت في «L'Encre» وفي «La Victoire» إلى أهمية الحدث، وقد جاء في مجلة اتحاد أصدقاء معهد المعلمين العالي، أن هؤلاء الطلاب قد تجاوزوا حدهم،

في تحدياته ومهاجماته المتعددة ضد السلطة مستعملاً لاسلوب السمارج، وضع سارتر أمامنا تعاطفه مع «الشعور بالجماعة، مستخدماً لغة تاويلية في إطار تقليد جيل رومان (Jules Romains)، (Badlou) ألا تمثل سعواته في معهد المعلمين الدرة التي شهدت تكوينه السياسي، فهو يبدو فيها وريثاً يريد التدمير، وعصبراً في فرقة صغيرة موصوية، منظمياً لكل المرححات الاعتراضية، مبدعاً لدوة تعلم قلة الاحترام والتقدير تبعاً لحاله يستثمر طيلة حياته ومن العقارفة بمكان أن يرى علاقة سارتر بالسياسة ستظل مناسبة لنموذج في الفلسفة الفرنسية، أعطى نفسه الحق، وحالفاً للفلسفة الألمانية، للتدخل وقول كلمة في

السياسي في كل لحظات السياسة بهذا المعنى شكّل سارتر، مع وضعه موضع الممارسة قدراته في الهدم للمرة الأولى، فهو يمثل حالة دراسية تقليدية من هنا يفهم رفضه للمهنة الجامعية، ثم لاحقاً طلبه أن ينقل إلى الحدود وأن يذهب إلى برلين ليبري ما يجري على جهة الفلسفة في العصر الحاضر، ويفهم أيضاً بقائه المؤسسة الفلسفية واحيائه اكتشاف طرق جديدة أكثر ملائمة مع منطلقات التفكير في الحاضر إن سلوك هذه الطرقات يعطي بالنسبة له اكتشاف طرق تفكير أخرى، مثل النقد الأدبي لشعر مالارميه، لأعاسي، القطع المسرحية والروايات، وبهروب إلى أشكال جمالية كانت ماضية آنذاك وفي لم تكن مشروعة، مثل السينما، التي حاول من أجلها، وعند تلك السنوات، إعطاء نظريات مفهومية جمالية<sup>(34)</sup>

في هذا التوضيح لسارتر ابن العشرين، وفي حالته كوريث يريد الهدم، نجد متمرداً متفجعاً تجاه كل شكل من أشكال السلطة التي تطالها، فهو المعارض للحمرال شارل ديغول في سنوات 1950، والمعارض للولايات المتحدة الأميركية في سنوات 1960، والخصم للجماعات المaoية في سنوات 1970.



## الفصل الثامن

### استكشاف الهوامش والثقافات الأخرى

#### أزمة عقد الثلاثينيات

تُعتبر سنوات 1930 - 1919، من السنوات الأقل إساءة على المسيرة السارترية، لكنها على جانب من الأهمية وعلى غير ما صعب إدراكها مرحلة أرادت متابعة، وفي خلالها تطورت رؤية الكاتب للعالم، كما تطورت أعماله الأدبية والفلسفية والأخلاقية. وإذا ما وضعنا الأمور في إطار آخر، فلنجد سارتر يبرهن بطريقة علماء الاجتماع رفضه الاجتماعي للمفوذ، وكيف يمتد مجتمعاً مضاداً بديلاً، عبر نفي لمحيطه لا يساوم إطلاقاً على أية تسوية في أي من وجهات النظر. ودون قبول مائة وظيفة مؤسسية في إطار مهم للتحويل الاجتماعي بدءاً من نفسه من هنا كان الرفض أولاً رفض مهنة الأسناد الممارس بطريقة تقليدية، رفض التراتبية في المدرسة، رفض مرجوزية هافر، رفض دور الزوج، رفض وصعية أو حالة المالك، بل رفض صفة المواطن، ذلك أنه لم يشترك في أي من الانتخابات، وقد ترك إصرابات 1936 الكبرى واطر إليها من الخارج، (وكان عمره 31 سنة) في إمكاسا إنأ لتحدث في هذا الإطار عن نقطة متأخرة سبباً على العالم.

كان سارتر أدنى شخصيه معارضة - للمؤسسة، شخصية متحررة بشكل أساسي ولا يبدي احتراماً للمؤسسة، وكان موقعه، منذ تلك الفترة في النقاشات التي تناول طرق الحياة اليومية وسط تيار متحرر فوضوي - نقالي وهو لم يتحل عن هذه الأوبية. وفيما بعد أبدى كرهاً للعلاقات التراسية بين أستاذ وتلميذ، ولم يعترف لأي شخص آخر بأي دين، ولم يغم على الأرض في حوار مع معاصريه، محطاً صدقيته عبر خطابات عبيقة جداً وشديدة التمرد معيداً من الصفر خلق توظيف جديد مختلف في طرق الحياة اليومية (العلاقة بالمال، تعدد الزوجات... إلخ) في هذا البدء الميكرو - اجتماعي البديل، كان سارتر وفي وقت واحد شخصية أحادية الجانب منذ بداية مسيرته وحتى نهايتها، حتى لو لم يقطع عن التأكيد بأنه يتغير من وقت إلى آخر بدياً أسطوري الخاصة في التغير.

إن مشروعه في الإنسان الوحيد، في الفردية الجذرية، يجد أساسه في فلسفة الذات، منذ العام 1930، وفي النص الذي وضعه بعنوان «أسطورة الحقيفة La Légende de la Vérité»، وكانت الجامعة الفرنسية هدفه، ثم راح يصف الملائمة مطلقاً عليهم اسم «موظفي الجمهورية»، لم يمد سارتر سوى الفرد الذي يعارض المهيمن من خلال استقلالية فكره. ويعتاد تابع هذا النحو من التفكير كرساً نصاً مصقولاً (حمل أول الأمر العنوان التالي «L'actum sur la Conscience» والذي صار بعد ذلك بعنوان «Melancholia» ثم رواية الغثيث «La Nausée»)، الذي كان محالاً إلى مفسرين لمناقشته على الصعيد الثقافي (سيمون دي بوفوار) وعلى صعيد النشر (نيران Nizan، موشيت Bost وآخرين) إنه سارتر سي لم يكن قد وصى بعد قوة ريشته، وقد ظل عدد وظيحه جمالية ونظرية

إن الصناعة الأولى لـ *Factum sur la Contingence* قد نقلت بشكل مدعش كل مكتسبات تجربة هانز، محاذلاً في الموضوعات التي تطورت ثم ماكدت في الصناعة الثانية، ثم الثالثة «الاحتمال، مقولة الفكر المرجواري بامتياز ومقوله «المفكرين»، نقد الإنسانية - التي صارت صفحة أسلمة ولا تنسى - تحويل الذاكرة إلى وهم فعلي، وهم المغامرة، وأخيراً وبخاصة إدراك الوجود والعرضية من خلال تجربة محدودة، قبل كارثة اليقين الكبير والجيور

في بحسه *Carnet de la Drôle de Guerre*، بروي سارثر الاكتئاب الذي وقع فيه آنذاك. لماذا هذه الكآبة؟ أبسبب طقس الانتقال، الانتقال إلى عمر الرجال، أو بسبب النشر الذي يجب دفعه بسبب طريقة حياته المشحولة، أو بسبب مشروعه الأدبي غير الكافي، والذي يصعب الإلزام به والذي رُفص من قبل العديد من دور النشر ولاكثر من مرة؟ ليس ذلك فقط، إذ يترافق هذا مع قصة حب فاشل مع أولغا (Olga) (وكانت تلميذة لسيمور دي بوفوار)، التي رفضته بقسوة، ثم تعقدت الأمور مع مشروع أنهي بعدم حمل الطمانينة له كتابة عمل جديد «المحينة *Imagination*»، الذي حاول فيه فهم طبيعة الصورة عند الأشخاص المصابين بالهذيان حينها طلب من رفيقه دانيال لانغش Daniel Lagache مساعدته في تحريرة ظاهرة الهلوسة المطرية (من حاسة النظر) حاقناً إياه بالمسكاليين [شبه قلوي مستخرج من مسكر مكسيكي يحدث هلوسات بظيرية] «ثلاث عيود متوارية تظهر أمامي» هنا ما رواه في «المحينة»، وانساهرة هذه تحقفي بالطمع بمد محاولتي الإمساك بها [..] نحد في الطريقة التي تعود هذه القيوم الصغيرة الثلاث إلى ذاكرتي بعد أن تكون قد اختفت، محض الأشياء التي لا قوام لها والسرية، والتي



لا فعل لها على ما يحصل إلى إلا ترجمة وحوود هذه العفويات  
المحجورة على أطراف الوعي<sup>(40)</sup>.

سلسلة من الأزمات كما يرى، بل انبلاق مرصي حاصع  
لمراقبة، جرى تجاوزه بالإنتاج الفني فسارتر نهوي، ثم يعود  
إلى السطح ويخرج محجراً كل أنواع الهوامش، طارياً الأرواح عن  
تجاربه في حركة إرادية تهدف إلى الصراع ضد جنوبه الخاص  
مناقشاً إياه، راقعاً إياه إلى درجة جمالية ثم متجاوزاً إياه، باهياً  
رغم كل شيء إلى نهاية مشروعه الأدبي مؤلفاً كتابيه «الجدار»،  
و«العنابر».

إذا استطاع الخروج من الأزمة فذلك يعود إلى تفكير منهجي  
يتجاوز الحدود الثقافية الفرنسية، إلى استكشاف حصادات أخرى  
يجد فيها شرعية لتساؤلاته الخاصة إن ما يسأل عنه قبل أي  
شيء آخر كان مواهقة للفرد الثقافية التي تقدمها له ثقافته  
الخاصة، وشأنه الخاصة بالنسبة للعجلة التي وضعها لتحليل  
رموز العالم وقدم تبريرات لأبحاثه في أماكن أخرى، عند هوسرل  
(Husserl)، عند دوس ماسوس (Dus Passos)، عند همنغواي  
(Hemingway)، وفولكنر (Faulkner)، كما عند هيرجيميا وولف  
(Virginia Woolf) وحيمنس جويس (James Joyce).

لاحقاً، استعاد سارتر هذه المرحلة، وتكلم على «الثورة  
الحقيقية» التي يشكلها بالنسبة له اكتشاف الروائيين الأميركيين  
متحدثاً عن الانقلاب الذي أحدثه هذا الاكتشاف على تنويرته  
الثقافية «إن ما أثار حماسي عند الروائين المتاحرين الذين  
سكرتهم هو الثورة الحقيقية التي قاموا بها في من رواية القصة.  
فالتحليل الثقافي الذي شكّل منذ ما يربو على قرن من الزمان

الطريقة التي تلقيناها لمعالج شخصية رواية معينة لم يكن إلا آلية قديمة لا تتأقلم مع حاجات العصر إنه يتعارض مع علم نفس توليفي معلماً أن الحديث النفسي إنما يشكل كلاً لا بجرئة فيه فلا يمكن استعمال هذا الأسلوب من أجل تصوير جملة من الأحداث تقدم نفسها كما لو كانت وحدة، رائلة أو دائمة، تتكون من عدد كبير من الإدراكات.

مبدأً جانباً بقديماً معيراً تجاه التقليد الأدبي الذي يرفض أن يأخذ الحاضر بعين الاعتبار، بصيف «إن الغيوم تتكدس فوق رؤوسنا القتال يشتد في إسبانيا، ومعسكرات الاعتقال تنتضعب في ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا. ومع ذلك فالعرب ما زالت تهدد ومع ذلك فالتحليل على طريقة مروست Proust وجيمس James يظل نهجاً الأدبي الوحيد، وأسلوباً المفضل. ولكن هل يمكن لذلك أن يأخذ الموت الوحشي لأحد اليهود في أوسفيتز Auschwitz بعين الاعتبار أو نصف مدريد بطائرات فرانكو Franco؟ وماكم أن ثمة نظرية أدبية جديدة تقدم شخصياتها لنا بطريقة توفيقية فهي تجعل الأعمال الكاملة بعد ذاتها تتكامل أمام أنظارنا، ومن الصعوبة بمكان تحليلها، إنها أفعال يجب إدراكها بشكل كامل بكل ما في أنفسنا من قوى مظلمة [ . ] إن أبطال همنغواي وكولدويل (Caldwell)، لا يعترفون عن أنفسهم أبداً، إنهم لا يتركون أنفسهم عرضة للتشريح إنهم لا يقومون بأكثر من الفعل [ ] إنهم أحياء لأنهم يستقون فجأة كما لو كانوا من قعر بئر عميق. إن التحليل يعني قتلهم».

نلمس هنا العيب الذي بواسطته يشكك سارتر في مكتسبات التقليد الأدبي الفرنسي فعبارة «إن التحليل يعني قتلهم» يشابه مطالبة بحل أص أشخاصه عبر أعمالهم، كما لو كانت المقييات

المبتكرة من جانب الروائيين الأميركيين الجدد هي التقنيات الوحيدة التي بإمكانها أن تكون الحل. «إنما يستخدم ومنذ زمن طويل بعض التقنيات التي تساعدنا على إلهام القراء ما دور في نفس شخصياتنا هذا ما أصابع سارتر. «إنما يكتب بشجاعة،» هذا ما قيل «الطقس حار. فكيف لي أن أتسلى الهضبة»، أو أيضاً «إنما يستخدم الأسلوب المباشر الذي أدخله فلوير بحسب قول البعض، أو لافونتين la Fontaine بحسب قول البعض الآخر. «بول يمشي بصعوبة الطقس حار أيتها الآلهة الكبرى. كيف سيكون له القوة ليتسلى الهضبة». أو أيضاً تلك التقنية المأخوذة حديثاً من بكتيرا، هي تقليد مأخوذ عن جويس. واحد، اثنين واحد انسان، الحرية الحادة وأنا - الهضبة - كيف لي أن أصلها أبداً». هذه البراعات لأسلوبية، الصحيحة أو الخاطئة، تسمح لنا بأن لا نشير إلا إلى ما تقوله الشخصيات بوعي عن ذاتها فهي تتجاهل ضرورة كل المعطاة المظلمة حيث تكثر المشاعر والمقاصد، هذه المشاعر ومقاصد التي لا يعتر عنها بالكلام.

تجاه هذه الاكتشافات أصبح سارتر أحياناً أكثر تفهماً، إذ أكد «لقد حررنا الكتاب الأميركيين من هذه التقنيات المهجورة. - بني ذلك لائحة طويلة من الأمثلة

«لقد احتار فولكنر Faulkner [ . ] أن يقدم أبطاله من الخارج، حين يكون وعيهم كاملاً، ثم يقدم فجأة أعماق ما في أنفسهم - في حين أنه لا يبقى فيها شيء أبداً وبذلك فهو يحق الانطباع أن كل ما يدقهم للعمل إنما يوجد في مكان ما فوق مستوى الوعي الصافي أما دوس باسوس وحتى يحطوا بشعر بشكل أكثر حيوية مترسب فكره جماعة في الأفكار الأكثر سرية في شخصياته، لقد ابتكر صوماً اجتماعياً، سحيفاً ووقار مصطنع يثرثر دوماً لقطاع حولهم، دون أن يعرف أمداً ما إذا كان الأمر

يتعلق بكورس من الهرالة الامتثالية، أو بعورولوج يحرض  
الأشخاص بأنفسهم على الاحتفاظ به في قلوبهم.

لنقارب أخيراً تحليله لتطور الاكتشافات العلمية الكبرى،  
ولنستعد أيضاً شعقه المتعرج محدوداً، فهو يختتم: «هذه الوسائل  
كانت جديدة بالنسبة لما عام 1910 وأولئك كانوا أول من كتب،  
تماماً مثل ريمان Riemann ولويتشافسكي Lohatchevsky اللذين  
خطوا الطريق الذي أتاح لروسل وآخرين مقارنة المسلمات التي  
تعتبر أساس الهندسة الإقليدية. لقد علمنا هؤلاء الكتاب الأميركيون  
أن ما نعتبره قوانين لا تتغير هي في الرواية، ليس إلا مجموعة من  
مسلمات التي يستطيع تحريكها دون الوقوع في أي خطر وقد  
تعلمنا من هولكسر أن ضرورة رواية القصة ضمن نظم  
كروبولوجي ليست من المسلمات، فبإمكاننا قالياً روايتها ضمن أي  
نظام، من اللحظة التي يستطيع فيها الكاتب تعميم المواقف والحو  
التي توجد فيه الشخصيات.

أما درس باسوس فقد علمنا الخطأ في وحدة العمل وقد  
برهن بنا أنه بالإمكان وصف حدث جماعي من خلال جمع  
عشرين رواية فردية لا رابط فيما بينها أتاحت لنا هذه الإبداعات  
أن ندرك وأن نكتب روايات تعتبر بالنسبة للأعمال الكلاسيكية عند  
فلوبير أو رولا، مشابهة لما هي عليه الهندسة غير إقليدية  
بالنسبة لهندسة إقليدس Euclide بعبارات أخرى إن تأثير  
الروايات الأميركية قد أحدث عندما ثورة تقنية. لقد وضعوا أدوات  
جديدة بأيديهم، أدوات مرنّة تسمح لما المنطق لمواضيع لم يكن  
سيد حتى الآن أية وسيلة لمعالجتها اللاوعي، الأحداث الاجتماعية،  
العلاقة الحقيقية بين الفرد والمجتمع، الحالي أو الماضي»<sup>(40)</sup>

في هذه السنوات أيضاً، وبعد الولايات المتحدة الأميركية،

كانت ألمانيا المصدر الثاني الكبير للتحدّد كانت ألمانيا مصدرة قوية للمادج الثقافية، كما مثّلت كوكبة ثقافية حقيقية (في الأدب، الشعر، الفلسفة كما في القرن الثامن عشر إذ استقى فولتير مصادر من روسيا، وفي بريطانيا والسويد) كانت رحلته الدراسية الأولى والعليه إلى برلين إلى الذهاب إلى برلين بالنسبة به يعني القيام بحجّ ثقافي كبير باتجاه الفكر الحرّسي، باعتدّره فكراً مؤسساً.

بين 1931 و1934 كان سارتر في برلين حيث اكتشف الفينومينولوجيا بقراءته لهوسرل (Husserl)، ما حدّد فكره فلسفي وجهه أكثر حصاً بعد سموات ثلاث، حرر وناقلاً من ثلاثة أشهر (40) صفحة من البحث الفلسفي حول فكر هوسرل وفي العام التالي وبطلب من بولهان (Paulhan) كتب سارتر ملاحظة صغيرة عن هوسرل: «سيدّي العزيز وصديقي، إن الفينومينولوجيا عبارة عن فلسفة تقنية، ومن الصعوبة بمكان أن أقدم أياً من مظاهر فكره للجمهور تحت أي مظهر أدبي وأنا لا أمدج نفسي إن كنت قد توصلت إلى ذلك. ولكن وفي نهاية الأمر، لقد قمت بما استطعت القيام به ولكم سيدي، أن تنصروها بهذه الملاحظة كما تشاؤون إذا رأيتم وجوب طباعتها، فذلك جيد، وإذا رأيتم وجوب رميها في سلة المهملات فإيكم لا تجرحون بذلك شيئاً من عرثي ككاتب...» لقد أثار توافع سارتر روح النسبية في بولهان، علماً أن المقالة التي صدرت في NRF في شهر كانون الثاني عام 1939 قد لعبت سعادة تعبير نافذة لها عنها من إضاءة ومن بلاغة. «لقد أعاد هوسرل موقعة السحر والرعب في الأشياء، لقد أعاد له ترسم عالم الفسائير والانباء. محيياً، عبيداً، خطراً مع موائ من نعمة ومن حب [...] وبحس لا نكتشفه في عرلة لا أدري أين هي»

بل على الطريق، هي المدينة، هي وسط المدينة، شيء بين الأشياء،  
رحل بين الرحال»<sup>(42)</sup>

أما ما يحذر مما أن ملاحظته، فهو الحدى الذي أحدثه  
الاعتراف بالجميل الذي أنشأه سارتر الشاب غير المعروف، لكنه  
العبد والعظم، على هولاء، غير المعروف أيضاً حتى في بلده  
والذي سيظهر بالامتياز تجاه سارتر ثم إنه اعتراف بجميع  
تجاه هيدغر Heidegger، إذ بعد قراءته «الكينونة والعدم» سجد  
يكتب له «الاول مرة أصادف مفكراً مستقلاً، دخل إلى عمق مجال  
التجربة التي أفكر إطلاقاً منها يُظهر كتابك فهماً مباشراً  
لفلسفتي، الأمر الذي لم أصادفه حتى الآن»<sup>(43)</sup>

كيف سيكون لفلسفة الإنسان الوحيد أن توصل إلى فلسفة  
إنسان الملقم عام 1945 كان لا بد من تجربة الحرب، تجربة  
العمل الصحفي في الولايات المتحدة<sup>(44)</sup>، حتى يتقوى سارتر في  
جهد الواقع وليسحب من عقائده، إدراكاً جديداً للسياسة ولموقعه  
في السياسة، لقد عدل مسطوره بشكل جذري، ووسع من مجال  
شده، مصيفاً حياً جديداً إلى قوسه، مطوراً ممارسته، مكتشفاً  
الوظيفة الجدالية مع مشروع ثقافي كلياني، هي ما سيشكل على  
الدوام أحد الثوابت الكبرى في فكره حتى ساعة موته



## الفصل التاسع

### «الاعتراض طريقة الفهم الوحيدة»

### مفهوم آخر في نقل المعرفة

نقد اشترت أعلاه إلى الشعور الذي طبع النقاش حول آثار سارتر في السنوات التي أعقبت وفاة الكاتب إن الشهود الأكثر حساسة، وأول الأدلة الذين أصروا على نقل انطباع عن مرث استثنائي اسمه جان - بول سارتر كانوا تلاميذ سارتر، التلاميذ الذين التقاهم في ليسيه فريسوا الأول François I<sup>er</sup> في هافر، وتلاميذ ليسيه لاون (Laon) وتلاميذ باستور Pasteur في نويي (Neui v)، أو تلاميذ ليسيه كومدورسيه Condorcet في باريس إنهم التلاميذ الذين علمهم الفلسفة بين أعوام 1931 و1944. بعد اليوم الأول الذي وطأت قدماء عيه قاعة دراسة في آذار من العام 1971، التزم سارتر بمحض إرادته ممارسة تربيته الجديدة، متحرراً من كل الممارسات، والإنارات، وكل الاصطلاحات، ليصبح أداة تهديم ضد السلطة والتراتمية والمؤسسات التي يقوم بالتعليم فيها

وفي سن الخامسة والعشرين أصبح سارتر بالمسنة لتجليل الأول من طلابه في مدينة هافر العربي الذي لم يكن منتظر أبداً



لنجد على سبيل المثال ما اختلف به عن باقي الرملاء كان يدخن العنبون - وكان ذلك مادية ويلبس سترة دون ربطة عنق - وكان ذلك عريضا، يدخل بحطى سريعة إلى غرفة الصف، وكان يبادر لحديث مباشرة دون الاستعانة بملاحظات، يباه في جيبه، يحس في «مكتب أو يتمشى في وسط الصف كان يتعامل مع طلابه دون أي قلق بالمراسمة، يتحدث إليهم حديثه لرجال وليس حديث عسى حسية، يتكلم على القديس أنسلم *Saint Anselme* وعلى الأمراض العقلية، على كاي *Kai* وعلى برجوارية هافر، يعوذهم عسى أسبينا يناقش معهم ألعاب كرة الطاولة والملاكمة، يتابع حديثه بعد انتهاء الصف في المقهى شتاء، وعلى الشاطئ ربيعاً، يحسهم على قراءة الروايات والقصص البوليسية الأميركية

«لم أكن أحب من كانوا الأول في صفهم، فدا ما أوصحه لاحقاً» كنت أهتم بشكل خاص بالذين يملكون أفكاراً، أو يتأمل قد ابتدئ بالذين لم يكسوا قد تكونوا سعداً بالذين بدأوا تكوين أنفسهم»<sup>43</sup> ما ملاحظه بوصوح هنا هو اهتمام سارتر الدائم بالأشخاص الذين يعملون على أنفسهم، يبحثون عن ذاتهم، ولتواؤم مع المراهقين، كل أنواع المراهقة، ومساعدته غير المشروطة للذين يقفون على الهامش (هامش المؤسسة، الدولة السبطة، وكل عادة أياً كانت) وفي ليسيه مدينة مثل هافر، حيث الاختلافات الاجتماعية واضحة جداً بين «الناس على الشاطئ» عن [حي] - «*Sainte Adresse*» حيث البيوت الجميلة تقتصر على السفوح وتطل على المدينة، وناس الأحياء المحفصة على العرفاء، حيث يحتل أبناء أصحاب السفوح مع أبناء العاملين في الأحياء وبعد وقت طويل من ذلك، وفي أحداث أيار/مايو 1968 وإبان تحليله لأزمة الجامعة، عاد سارتر مجدداً لهذه النقطة «على المدرسين أن

يتولو مهمة تعليم جماهير طلابهم، لا ما يبدو لهم خبيراً بإدماجهم في النخبة، بل عليهم حرّ الجمهور بأكمله إلى الثقافة، يفترض ذلك بوضوح طرق تعميم أخرى. يفترض ذلك الاهتمام بكل الطلاب، وأن نحاول أن نكون مفهومين من قبل الجميع، ويحب أن نسمع منهم أكثر مما يشار إلى الكلام معهم [ ٤٦ ]»

ظلت شهادات تلامذته الأول في ليسيه هافر لصيقة بهذه التفاصيل الدقيقة، علامة على الصدمة من هذا الاتصال المباشر الأول. «أنتم تأتون إلى هنا مع الحد الأدنى من العدة، قم حبر، قلم رصاص، ودفاتر، إذ إن هذه أدوات أساسية وكافية. تلك كانت تعليمات الأستاذ الذي كان منذ ذلك الوقت يقف وسطاً، مقيم حواراً، مستحثاً أسئلة مطرحها نحن، إذاً لا محاضرة عامة أساسية، ولا حتى محاضرة، بل أنواع من المحادثات. هذا ما كتبه لي روبير مارشندو Robert Marchandieu «كانت طريقته ثورية، كان يهمل تخصيص الكالوريا ليهتم أكثر بتشكيل الأذهان، وهذا ما لم يدمر منه أحد، طالما هو بأسر جمهور مستمع» أما بالنسبة للفروض فكان يأخذ منها واحداً من المجموعة، وبالصدفة، ويدع أحد التلاميذ يقرأ، طالماً للرأي العام، وكان العرض هذا علامة تؤخذ للجميع من أفراد الصف، هذا ما أضافه بيير برومونت (Pierre Brumont). «مع سارتر كان ما يحري إعادة نظر في الأفكار المتلفاة، ونطور الروح النقدي، وفرص فكرة شخصية وسط استقامة فكرية لقد كانت مرحلة تحديث الفكر في Terence»، ما يجعل الناس جميعاً لا كائنات متكافئة وحسب، بل كائنات جمعية مسؤولة كانت ندروس الأخلاق نتيح له فرصة التعبير عن نفسه، ذلك أنه بعد أن يعطينا عن مسألة ما مختلف الأطروحات لحاضرة، وهذا ما كان يكفي لاجتياز الامتحان، كان

يقول لنا بعد ذلك ما يفكر فيه هو مالدات عنها، وكان ذلك أمراً شديداً الشعب، إذ يشارك الصف بكامله في مناقش الأفكار التي كانت تعاجلنا محدثها وعدم امتثاليتها لقد حُبب إليّ مدوّق الأدب الفرنسي، والأدب غير الفرنسي والسيما هذا ما شرحه لي جان غوستينياني (Jean Gustiniani).

أما بالنسبة للمهندس جان بالاديير (Jean Balladur) والذي كان تلميذه في ليسيه كومدورسيه سنوات 1943 - 1944، فلم يتوان عن إحصاء مذكراته المدوّنة وتصويرها ونسخها، قائماً بعمل كبير، ما أتاح فهم العنوي الفريدة لرسالة سارتر بفهم شخصيته في إحدى رسائله، أورد ما يلي «بالنسبة لي كان استحليل عليّ أن أفهم سلوك سارتر السياسي، وأنا كان الغير قد جعل منه «رجل» أدب، أو «رجل» مسرح، فإن «الرجل» سارتر كان أساساً وقبل أي شيء آخر «فيلسوفاً» [ ] وأنا لا أعني بالفيلسوف أستاذ الفلسفة، صاحب الاختصاص، أو الكاتب الفلسفي، بل هو الرجل الذي لا يميز بين «الفكرة» عن العالم وبين سير العالم فللعالم عمده معنى هذا المعنى لا يدخل إليه بفكرة وحسب، بل هو يجسده في ذاته [ ] لم يكن سارتر لا ساذجاً ولا شكاكاً لقد كان فيلسوفاً «طريقة كيبونته كانت من خلق طريقة تفكيره بالواقع».

موصفه مريباً، التزم سارتر بمحس إرادته وسط ممارسة لا ينحرف إلا القلة من تحقيقها في الواقع وكثير من الشجاعة والثقة بالنفس وإد قام بمراجعة كل الأمور المسبقة في الثقافة الفكرية بطريقة جذرية، أكد سارتر أولية الموقف للمعاش على ما هو تحكمي في «تقييد وفي الماضي» وهو يعلن أن الباطن القرائي في المؤسسة التي يملكها هو تنظيم اصطناعي، فارصاً مشروع السبل،

دور أن يصرح إطلافاً قام بذلك أولاً في صالته الدرس حيث كان يدرس ثم أمام المستمعين الذين تجمعوا مراءاة في انتظار حصة شعرية، يعتبر نموذجاً من تقديس التقليد كان ذلك إبان تسلم شهادة التي استحق في تموز من العام 1931، وذلك نظراً لحدائه سبه ولعشروعية الفكرية، إذ منح شارة التميز وكان القى حصداً بالمناسبة فكيف لما إلا يتعلق بإحدى هذه اللحظات التي تميز دخوله الأول على المسرح العام في الممارسة السارترية؟

ففي أرشيف ليميه هافر، وتحت عنوان اصطلاحى «أكاديمية Caen، ليميه هافر» نجد نصاً يحمل العنوان التالي «توزيع اجتهالي لجوائز - 12 تموز 1931 خطاب السيد سارتر أستاذ مجار في الفلسفة، خطاب أشار إليه العديد من المشهود الذين سألوا عنه، وكانوا قد أشاروا إلى حدث يستحق الذكر، إنه خطاب أظهر تدمير الأهل ومرح التلاميذ خطاب غصيمة، دور أية رقابة، ودور أدبي ارتباك، ودور أدبي تكتم، وأمام 800 مشاهد في واحد من أكثر الاحتفالات ارتباطاً بطقوسية المجتمع الفرنسي، أمام الذين يمثلون هناك سلطة الدولة وثرانوية المنطقة والليسيه، سيقوم سارتر أكثر العلاسفة اعتذاراً، بنقل التمرد بثقة في النص وبادعاء ومهارة لا مثيل لها.

في أيار/مايو من العام 1968 وبسؤاله عن ثورة الطلاب وعن خصوصية الممارسة الثورية، أحاب سارتر بمسألة «كمت أشعر أسي» السيد حين استحصلت على الصمت، إذ قدمت خطاب بممارسة توزيع الجوائز وكان على يساري مدير المنطقة، ومدير الثانوية على اليمين أمام مدارس ليميه منحجرة، إن ما يرفضه سارتر محريته هو معدمت السلطة التي تقدمها له الشرعية الفكرية كم برهض تعاق كل التنظيم الترانمي، وهو يتسلى بهدمه

علناً كما تهدم قصور من أوراق اللعب لا عذر لسارتر، إذ أصبح مثل آلة تحريض، آلة حرب ضد اتفاق المناسبة، ضد هذا المعاق التغير والعميت، هذا الاحترام الإلزامي لمؤسسات المعاصي لا عذر لسارتر الذي يفصح النظام الذي منه انطلق، النظام الذي ينصه لا عذر لسارتر، لأنه جان وضعه الاحتماعي في التوطؤ مع المراهقين مدافعاً عن قيمهم، ثقافة الحاضر، «الثقافة الحقة» التي يجب صدها والتي تطلق مشروعها عبر مرجع القدسية عن احترام التقدمي السلمي، عن مواضيع أوحى بها المعلم وحيدته لاستكشاف حاضر في الغناء المعاصر.

هو زمكسا أن تصور ما كانت تمثله السيمما عام 1930، في مدينة فرنسية في إحدى المناطق سارتر يتذكر بنفسه كلمات لآنتول فرانس Anatole France «السيمما تجسد المثل الشعبي السيئ بشكل مادي» [ ] لا يتعلق الأمر بنهاية العالم، بل بنهاية الحاصرة، وإذا أحداً واقعاً وسباً من أجل هذا الفن، الذي يمثل ضد زمن طويل أحد أكثر الأمور حباً لقلبه، فهو يمتنر المناسبة لينحدر علناً مما أسماه لاحقاً «الثقافة الباطلة» «السيمما فن يعكس حضرة رمياء هذا ما أكد سارتر «إنه فن أليف، شديد الارتباط بحياتنا اليومية يدخل في لغة هواة يتحدث، يصحك، يأكل في صالات العرض، لا احترام لهذا الفن الشعبي، إنه فن لا يناهي أبداً تلك العظمة التي تبجل هي اللذة التي قدمها الفن المسرحي لمن هم أكثر منا إنه طعل طيب وأكثر قرباً منا إذا كان بالإمكان البرهة على أن السيمما هي فن بالفعل، فإن يكون علينا، خلافاً لذلك، إلا أن معتدح أنفسنا على تحول العادات [ـ].

«يجيل إلي أن عدم احترامك الكلي للفن السينمائي، وعرقك الفروسية في استخدامه لهي مما تستفيد منه أكثر من مريج من

الإعجاب الجازم وبليغة الإحساس والخوف المقدس. لقد قال لك كبار أدائنا الكلاسيكيين الكثير، وأنا أتخسر لأنهم كانوا مدسين أنت تتأفف من حملهم الحميلة، إنها حجج لآلف سؤال مآكر وبدون شد، شيئاً فشيئاً ورعماً عليك! لقد استفدت من تحارته ربحاً قدرته فيما بعد. يستحسر في بعض الصالات الممتعة، المجهولة من الأساتذة ومن الأهل، أن تجد قياً مريباً، يُصجر تكراره ولا أحد يحلم أن يقول لك، إنه كان مياً بكلمة واحدة. لقد تركوك إراءه في حالة من البرء. لأن هذا الفن قد تغفل قبل العيون الأخرى، وهذا ما جعلك بهدوء تحب الجمال تحت كل أشكاله [ ]

«إني أقول إن السيمما هي فن جديد، له قوانينه الخاصة ووسائله المميزة، ولا يمكن ردها إلى المسرح وهو فن يحسم ثقافتك كما تحدمها اللغة اليونانية أو الفلسفة [ ] إدا، هذا العالم الجديد، أقول إنك تجد نفسك فيه بشكل جيد، لقد اكتسبت عادة أكيدة في التوجه في مناهة حيكاته، ورموره وإيقاعاتها لقد رأيت أساساً متفهمين يصيغون في هذا الفن، لعدم قيامهم بارتياح صالات العرض. ولكن أنت الذي تتردد عليها، مع أنك، ربما، لا تستطيع أن تعطي اصباغاتك وافكارك شكلاً معيناً، لقد كنت على راحتك لا شيء يفصل، ولا شيء يحيب أملك.

«استطاعة أهلك أن يكونوا على ثقة إن السيمم ليست مدرسة سيئة إنها من سهل ظاهرياً، لكنه فن صعب جداً في عمقه، ويمكن الاستفادة منه إدا ما حرص الأحده به ذلك أنه يمكن، بصيغته، حضارة عصرنا من يعلمك جمال العالم حيث تعيش، شعر السرعة، الآلات، قدر الصناعات المدهشة واللاإسانية؟ من. إن لم يكن «فدك» السيمما» انهب إليها غالباً فهي تسلية في الفصل السيئ» وحد مرصاً جيدة قبل ذلك.<sup>(47)</sup>

لاحقاً، وبالسؤال عن سموات دراسته الخاصة، راح سارتر يعكك بوصوح وبمساطة النظام المحكم الذي كان قد شكل فيه «لقد كان الأساتذة على درجة من الهذالة، هذا ما كان يقوله شارحاً، ثم يكرر لديهم ما يقولونه لنا... بل إن مبدأ المحاضرة الأساسية كان مبدأ يصعب الدفاع عنه... ثم يكن بوسع بيرل (Nizami) أن ينفس وسط هذا النظام المعد لتأيد اختكار العلم»<sup>(48)</sup> تجاه خطاب، أو ممارسة على هذا التماسك، تجاه هذه الثقة في تأكيد قضاياه، لا يمكن لنا إلا أن نتساءل عن سموات بشاشة هذا الولد، سارتر، وأن نتذكر معط المميز واللامطي الذي تلقاه هو بالذات والذي اعطانا عنه بعض العناصر في الكلمات.

كلنا يعلم، أن سارتر بنيم الأب، ومهد العاوية عشرة من عمره كان تلميذاً في باريس وعبد امه، أن ماري، وعبد جديه لأمه حتى العاشرة من عمره وبعيداً عن مقاعد المدرسة القروية تلقى سارتر التعليم من حده، شارل شفائتر (Charles Schweitzer) (1844 - 1935) والذي كان بعد إحيائه على المعيش قد استعاد الخدمة من أجل تربية «ابنه الصغير، كما يشرح ذلك في رسالة إلى أحد أقرانه. لقد جعلت من نفسي معلم مدرسة لرجلي الصغير الذي اتولى تعليمه، إذ أقوم بنفسي بتعليمه، فألقه التاريخ والجغرافيا لا شيء ألد من أن تعلم، وأن تربى هذه العقول الصغيرة. هذا الأستاذ المحار بالالمانية، صاحب كتاب «تعليم الالمانية» وصاحب طريقة تجريبية في تعليم الالمانية الذي تستعين به كل اللغسيات في فرنسا، هذا الأستاذ كان أحد كبار المرتين في الجمهورية الثالثة. فمئذ عام 1891 قام شارل شفائتر مع أحد زملائه من الأكراس، جان - باپتست رومر (Jean-Baptiste Rauber) بتأسيس «جمعية نشر اللغات في فرنسا»، بهدف جعل

تدرس اللغات الأجنبية أكثر ديموقراطياً، من خلال تطوير تعميم اللغة المحكية، من خلال تغليب الثقافة على القواعد، وقد دأب على جعل أفكاره متمركزاً في الجامعة.

تدرج المنشئة التي تلقاها سارتر إدا، في خط هذه التربية التجريبية التي جعلها البروتستانت الليبراليون، والتي طمعت السنوات الأولى من الجمهورية الثالثة، إلى حد أنه أطلق على هذه المرحلة لقب «عصر البروتستانتية الذهبية». إبان هذه الفترة أحاط جيل فري (Jules Ferry) نفسه بنائفة من الخبراء، كانوا جميعاً من البروتستانت الليبراليين، أمثال فليكس بيكو (Felix Peccaut) أو فريدريك بريسون (Ferdinand Buisson)، فكانوا له بمثابة معنشين عامين في التعليم الابتدائي، وهو لهم من جانب وبحمائته إنجاز «القاموس التربوي» المعروف عام 1897 هذا القاموس، الذي يعتبر بمثابة ثورة في التعليم الابتدائي، وحللاً للتعليم الآلي والمحافظ في المعاهد الكاثوليكية، والقائم على سلطة المعلم، أتاح تصوير كل المعتقدات والقيم العريقة على نفس البروتستانت الليبراليين، الثقة بالمستقبل، وهي حيار الولد الحر، والعقل، والتاريخ والطبيعة. وفي حين أن تعليمها الثانوي والابتدائي كان يعود إلى القرون الوسطى، يقر بريان (Briand) بأن تنظيم تعليمها الابتدائي حيث تأسس قبل القرن العشرين، فهو ابن (هكذا) البروتستانتية.

وإن كانت مهنة سارتر التربوية قد انتهت مع العام 1944، فإن تقربه من المراهقين ظل قائماً أما فيما يخص اهتمامه بحقل المعرفة، فإنه قد عبّر عن ذلك بوضوح إبان أحداث عام 1968، وهي الوقت الذي أبعد من السابق عن المسرح الثقافي قام بكتابة مؤلفه عن فلوسير وهذا ظهر ولمرة أخرى المماسك المطلق في الحالة السارترية، التي لا ترد إلى العمر، وللسلطات والسعادة،



والشهرة - فقد خطابه أثناء توزيع الحوائز في لسنه هامر، إلى تدخله في السوربون في أيار 1968 - وعلى مدى أربعة عقود ظل سارتر على رصنه الجذري للوسط المحوي الذي يطلق منه، وعلى موقع «سلطة الحق» الذي دافع عنه معص أقرانه

صحيح أن عدداً قليلاً من منظمي حركة أيار مايو 1968 قد ذكروا سارتر (حلاً لماركوس Marcuse واليتش Illich وأخرين)، فهو مع ذلك قد ظل بالنسبة لهم شخصية معيارية، يرجع إليها وتنتشر نظيره تصريحاته جميعها، التي أغلبها في تلك الفترة رجلاً يعمر «الثقة والستين»، ويتناغم كلي مع حركة أيار مايو 1968 «عندما كنت في العشرين من عمري، أعلن سارتر يومها - كما يعترض ضد نظام المحاصرات (التي تلقى من على الكرسي، مع cathedra) لقد كان عدواً قليلاً [ ] وكما مقدر أن أكتب أفضل من المحاصرات - كان ذلك صحيحاً - وكانت طريقتنا في الدراسة على ذلك قد انحسرت في عدم حضور المحاصرات [ ] أما لأن فالوضع يختلف كلياً [ ] فتنة عدد كبير من الطلاب لا يرون الأستاذ مطلقاً إنهم يسمعون فقط بواسطة مكبر للصوت، شخصاً لا إنسانياً بشكل كامل ولا مقبولاً يلقي عليهم محاضرة لا يفهمون إطلاقاً العائدة التي يرحوبها منه إن الأستاذ هي الكلية هو دائماً، وهذا ما كانه في أيامنا، شخص قدم أطروحة يظل يكررها طيلة حياته كما أنه واحد ممن يملكون سلطة يتعلق بها بكر قواه إنه يعرض على الناس، باسم معرفة قام بجمعها، أفكاره دون أن يكون لمن يستمعون إليه حق الاعتراض إزاء أن معرفة لا يوجه إليها «سعد باستمرار لتجاوز نفسها أو لتأكيد بواسطة هذا البعد، هي معرفة لا قيمة لها»<sup>(49)</sup>

في تحليل له، يبدو أنه قد لطلق من خطاب هامر، تبدو قوة

استبداد النظام النخبوي وقد اتحدت صدى ثقته بنفسه منذ سنة 1930 «بدينا» في أيامنا، في الجامعة هذه التجربة المضحكة والمؤلفة من محاضرات «من على المنبر» وقد وضعها سادة لا يتنازعون فيما بينهم أبداً. ثم يؤكد موضحاً رعيته في معهد المعلمين العالي بعمارات واصحة القسوة «إن السلطة بحسب أروى يجب أن تنتقل من معلم إلى معلم، من بالغ إلى بالغ» يجب أن يتم تداولها من الأعلى، وكما كان البلاء في النظام القديم، لا البرجوربون الذين كانت لهم سلطة إنهاء البقالة عن أحدهم [...] فهذا هو التعليم غير المراقب وغير الحاصص للمراقبة الذي أعطي لنا والذي ما زال يعطى لليوم. من هنا يجب على الطلاب لا أثناء نسبة الدراسية في المحاضرات وحسب، ولكن في السنة المظلة أيضاً أن يكوموا هناك لأجل تصحيح الخطأ عند الحاجة وحتى يعلم الأستاذ أنه سيحاكم في الوقت نفسه الذي يخضع فيه غيره للمحاكمة، كل شيء هنا إما كان الذي يحكم غير خاضع للمحاكمة منه لا وجود لحرية حققة»<sup>(٤٠)</sup>

ما يرتسم في هذه العبارات هو إرثار التمارض بين «سلطة مغطاة»، و«سلطة القانون أو الحق»، إنه تصور لمعرفة مثالية لا تنفك عن التساؤل بطريقة نقدية تقوم على تحليل شروط تدخلاتها الأخيرة لا عذر لسارتو الذي تسلح بكل الألقاب الممكنة التي تمنحها المؤسسة، وهو يداوم على متابعة عمله التحفري في هذه المؤسسة بالذات، بقدر ظل جذرياً وعميداً وممسحاً متحالفاً باستمرار مع حالة المراقبة رافعاً إياها إلى المركز الوحيد المناسب «إن طريقة المعلم الوحيدة، هي التي تقوم على الاعتراض» هذا ما شرحه بوصوح في تلك الفترة «وهذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعل من الإنسان رجلاً» [ والمتوقف بالمسبة لي هو من كان وفياً لمجموع سياسي واجتماعي إلا أنه لا يملك يعترض عليه ]<sup>(٤١)</sup>

يبدو هذا الاستعداد الدائم باتجاه الغير في قابليته للأجراح وفي بحثه في معضات الوثائق الخاصة. حتى سارتر لم يكن يعرف الكثير عن ذلك، إذ أحاط دائماً بأنه حاصر لأي بدء من محبوس، ولتلبية أي طلب بالمساعدة، هي كتابة مقدمة، بتقديم دعم مالي في ممارسات طلت في الكواليس بشكل طبيعي وثابت ودون الارتباط بأي إعلان مكدأ وفي يوم من شهر أيار/مايو 1969، بقيت مع سارتر لمدة ساعتين لتتحدث عن مجرار لقد أجاب أولاً على تساؤلاتي، ثم سألني ببساطة عن أصولي وعن دراساتي كما نجلس على كرسيين عاكبين أمام المائدة، وكان يتكلم بسرعة، بصوت لا يحلو من البسرة. يفتصد في التعبير، لكنه يبحث ويبطء غالب الأحياء عن الحملة الصحيحة، عن الكلمة الصحيحة، كما لو كان يريد الدقة في ذكرياته عن مجرار. مرة أو مرتين، إبان الحديث كنت أوحى بكلمة، بمجاعة أو بصيغة يتقبلها بطيبة خاطر ويتمك منها ليكرر فكرته أو حملته. هذا البناء للمردوح، يمي وببينة، هذا الحوار المتطور معه كان مفاجأة لي وقد أعطاني في ذلك شعوراً بالاملاء. ألم تكن مواقفه في الحط القفدي نفسه الذي عبر عنه، قبل عام من ذلك ضد «أسناد الكلية التقليدية» السيد [ ] الذي يملك سلطة يتمسك بها بشكل محبب، سلطة من يريد أن يفرض على الناس باسم معرفة قام بجمعها، أفكاره الخاصة، دون أن يكون ممن يستمع إليه أي حق بالاعتراض؟ نعم. هذا ما كان فعلاً سارتر كان واحداً لا يعلن باسم المعرفة التي تمكن منها، أي حق بسبحة، ولا أي استعلاء، أو ترانسية، وهذا ما كان يزيد في حماسه الطالبة التي كتبها أنا ذات يوم، تحربة صغيرة مكل الأحوال، ولكن ألا نعطيني الشعور بهذا المعطى النادر إنه يعارض مقدمات السلطة التي تقدمها له مشروعيته الثقافية، بإسداثه للغير، المحلول، بكرمه واستعداده وسائل تأسيس هويته الخاصة

## الفصل العاشر

### التفكير في الحديث

في «لغتيان»، يعيش أنطوان روكنتان (Antoine Roquentin) وهو الشخصية الأساسية في هذه الرواية، وحيداً في بوفيل (Bouville)، حيث يقوم مباحثات عن الماركيز دي روبون (de Roben)، أحد علماء القرن الثامن عشر، يجرر أنطوان حياته مثل ربون دائم يمر غريباً، متلصصاً، يودع انطباعاته في مذكراته إنه وصف متفاقم لتجربته في إمكانية حدوث، رواية لانطباعاته «نوع من الاستمرار العذب» أو ربما كان «نوعاً من الغثيا»، ومحاولة للتهرب من ذلك إذ «لا دم فيه ولا لحم ولا ليفما، لقد توصل للتخلص من إقليمه الدقيق والمكروه من خلال التقلب غالب الأحياء وسط معارضات مزدوجة بين «الرتيب» (اليومي) و«العجيب»<sup>(52)</sup>، يساعد في ذلك قطعة موسيقية مجهولة، وصوت مرأة يأتي من مكان ما:

«عندما يبدأ العمر الكامل بالظهور

كل ليلة، أحلم أنا حلاً صغيراً.

«نصوت القوي والاجش يظهر فجأة، والعالم يتلاشى، عالم المرحوبات»<sup>(53)</sup>.

على عرار روكتار، ومعارضة للعلاقة الجدلية التي يقيمها مع محدثاته الاجتماعية الخاصة، طوّر سارتر آلية فكر أصير نتوجهه سمعته عبر اكتشاف معاصر للعالم، وشعف متعجر للجديد وتبني الحديث بشكل مدرّس. وقد أقام مسعته على أساس قطيعة مع المؤسسة الفلسفية التي رأى فيها قيداً وليدك الترم مند سدوات الدراسة في معهد المعلمين العالي بدراسة وتحليل أشكال تعبير جديدة. لغة أجنبية، صوت أجنبي، موسيقى أجنبية، اكتشاف الرواية الأميركية، اكتشاف الفلسفة الألمانية إن اكتشاف العالم بات قائماً على نواتر ذات مركز واحد، إنه علم يقدم إليه بشكل مسبق عبر دوائر تردد اتساعاً، وترداد عمومية

يتسق ذلك مع ناكذ فكره وموقعه (محاضرات في الفلسفة في ليبسيه هامر، وباستور، وكوندورسيه، محاضرات في قاعة «lycée» في هامر، مقالات في «NRF»، مصوص فلسفية، إصدار أعداد خاصة من «Temps Modernes»، وعدد خاص عن الولايات المتحدة، وعدد خاص عن الهمد الصيبية إلخ)

في اكتشافه لأشكال تعبير جديدة، تطلع سارتر إلى السبما «قصيدة الحياة الحديثة»<sup>(٩٥)</sup>، فمعد العام 1925 راح يوليها مكانة أساسية، مقيم موارنة عربية بين السبما وبين سيرته الشخصية عبر سوع من جمع لأحوه خيالية «في قاعات سبما الحي المتساوية من حيث عدم الراحة، تعلمت أن هذا الفن الجديد كان مياً لي، كما هو للجميع لقد كنا في العمر العقلي معه، كان عمري سبع سنوات، وكنت أعرف للقراءة، وكل له اثنا عشر عاماً وبم يكر يحسر الكلام. يقال إنه كان في بدايته، وكان عليه أن يمجّر معصر التقدم كمت أفكار أنا مكر معاً ثم بس طمولت «مشاركة»<sup>(٩٦)</sup> مذكر سارتر أيضاً بالاحتقار الذي أداه حده،

حيثما، في أيام العظرة، الأم والولد، بتواطؤ يسرعان منصرف إلى كيناراما Kinarama، إلى «Folies-Dramatiques» و «Vaudeville» و «Gaumont Palace». ولدت في معارة اللصوص، وتصنف من قبل الإدارة في عداد التسليلات الحارحية [السيما] كان لها طرق شعبية تعري الشخصيات الحيدة، لقد كانت تسلية النساء والأولاد، بالنسبة له إذاً، كانت السيمما منذ الطفولة من القرن العشرين، كما ندخل سرّاً، أصنافاً قائلًا، في عصر لا تقاليد به وعليه أن يقطع على الآخرين معاداته السيئة والفن الجديد، الفن العامي، يجسد بربريته<sup>(56)</sup>.

عام 1925 ظهرت في فرنسا أول الكتابات، ومن بينها ما كتبه روبرت ديسموس (Robert Desnos) عن السيمما [لا أن الأمر ظل مع ذلك قليل التشريع إلى أن كانت اللحظة، وفي إطار معهد المصممين العالي إذ استقبل سارتر ابن التاسعة عشرة الجمالية السيمائية كما لو كانت جمالية عصره مقترحة لها تصوراً نفسياً متطوراً، ثمة فلسفة جديدة قلبت عرش الأفكار التي لا تتحول، في الوقت، بحاضر لا وجود لحقيقة إلا في التغير ] [والسيمما تعجيباً صيغة فر برعوسوي إنها تنشئ الحركة في الجمالية،<sup>(57)</sup> أو كما كتب أيضاً، الفيلم ] [إنه وعي، لأنه تيار لا انقسام فيه ]...، إنه بضم حالات، هروب، إنه سيلان لا انقسام فيه، لا يمكن الإمساك به مثل أمانا<sup>(58)</sup>.

وفي الوقت الذي بدأ العمل فيه على مسألة العنصر - أي عام 1926، حيث شرع في تحرير مقالته «Factum sur la Contingence» والتي بعد تعثرات نشرة طويلة تحولت إلى روية «الغثيان» - يستحسن بما أن نلقت النظر إلى الطريقة التي يعمل فيها الفكر السارترى، إذ يخطر إلى الجمالية السيمائية في

خصوصيتها تجاه الجمالية الرومانسية، أو تجاه الجمالية المسرحية، أو إذ يحرص على إدماج الفن السينمائي في اعتدائه الفلسفية

في شرحه لشعفه ممتعة حقيقية، يقوم سارتر بإظهار بعض عناصر تصويره عن الإنسان وحيداً، عن الفرد، وهذا ما كان بعض على تطويره «من حيث الماهية، تعجد السيمياء امتداح الطاقة بالأفلام الحميلة قد انحلت موضوعاتها في صراع الإنسان ضد العاصفة «Way Down East»، ضد العناد الريفي «Une Belle Revanche»، ضد مكائد الصحراء «The Covered Wagon» عمل المتكرر العصاب القاسي «Histoires de Femmes»، المعامرات الرياضية الجميلة «Le Démon de la Vitesse»، أو رواية أحد المتمردين «Robin des Bois. Le Signe de Zorro» كل شيء يحكي قصة معامرة، تمب الناس، الانتصار القاسي للحصول على جرة الذهب ويا لها من مشاعر قوية إذ يقول Jason بالحصول عليها لقد حصر بدهني ذلك المشهد من «La Belle Revanche» حيث يخرج البترول المنتظر أخيراً من أناره، فلا شيء أحمل من رؤية التدفق الأسود والموحل وهو يرتفع بين الصفالات، يطبق أصوات كالصفارات، فيما أرمعة من الرجال وسحور وعرة الصدور يتهاقون باكتشافهم، وأعيهم تتركز على التدفق العظيم، يطلقون صراخ فرح مجنون ومغنون انتصارهم»<sup>(50)</sup>

لنستخلص هنا كيفية عمل هذه الفكرة الأحدة بتشكيل، فكرة - كما رأيناها سابقاً في وصفه لأقرانه - تفرص نفسها على الجميع بنصوحها وبقوة معولائها الخاصة. إن الإشارات إلى القراءات الفلسفية ترصع النص - إذ يذكر برغسون Bergson، آلان سوريو Souriau، وحمى مالمبرانش Malebranche - وبالرغم

من هذه الحالات الجديدة، فهو قد وضع فلسفة سارترية في معرض، في الفعل، في الجمالية، وسط توتر جاد بين تواضع الطالب الضروري وكبرياء قنوم مفكر يتعذر كفته.

أخيراً - ومن سيدهش لذلك؟ - مقرر العودة إلى الرومانسي والمغامرة ببعد التقليد، مستعملاً الفن للسيميائي كأداة تعبر في عذته الثقافية، هنا يكتب ملخصاً: «تداس السيمما، كما أدب سقراط بإسناد الماشئة، ويصار إلى اتهامها بالتحول إلى مكان للرفض، إلى ملهى [ ] يقول تولستوي Tolstoi، إن الفن الكبير الوحيد هو الفن الذي يتوجه إلى الجميع... والسيما تتوجه إلى الجميع [...]

شارلوت Charlot؟ إنه ملك السيمما [ ] لقد خلق شخصيته، وشخصيته شارلوت المعاصر، الأسطوري، لقد خلق فيلماً، فيلم الشقاء الحقيقي [..] في هذه الأفلام يعرف الأبطال الشقاء الحقيقي [..] إنهم شاحبو اللون، البعوض، وشهواسيون [ ] ماذا يريد علم الاجتماع من الفن، إن لم يكن خلق حيوات نحظى بالإجماع؟ [ ] لا يمكن للسيما إطلاقاً أن تصنع فناً من أجل الفن، ذلك أنها تنتج لجمهور عريض. ولذلك نجد في الفيلم الألماني لا يكهينا إطلاقاً، وبذلك يعرف الفيلم الأميركي كل أنواع البجاح،<sup>(60)</sup>

في فترة لاحقة يعترف سارتر أن إعجابه بالسيما يتشارك مع إعجابه بالولايات المتحدة، وبشكل عام أيضاً بكل أشكال الفن التي تمثل الحداثة الأميركية «حين كان عمراً عشرين سنة، يكتب سارتر عام 1925، سمعنا الناس يتحدثون عن باطحات الصحاب... كان ذلك بالمسة لما رمرأ للرخاء الأميركي، وقد اكتشفنا ذلك بإعجاب وتقدير في الأفلام لقد كانت هذه هندسة المستقبل، تماماً كما هي السيمما من المستقبل، وموسيقى الجاز هي أيضاً موسيقى المستقبل»<sup>(61)</sup>.



بدءاً من العام 1931، وإبان سنوات إقامته في هافر، أتاحت لسارتر أن يقدم علناً شكلاً آخر من أشكال شعفه بسحدث الرواية الأميركية ففي كل شهر، وأمام جمهور لا معد من هو، كان سارتر يلقي في قاعة «Lycée» في هافر «محادثة أسية»، ويحاور فيها أن يست بعض المقاطع من حالة الرواية عام 1931. كما كان يحاول استعراض تطور هذا النوع منذ انقصر السابع عشر، فيحلل مختلف تقنيات الرواية المعاصرة، سواء في فرنسا أو في روسيا وفي بريطانيا الكبرى والولايات المتحدة كما كان ينطلق في إظهار الحدود بين العلم والأدب، أو في تعريف مذهب علمه ومعرفته. كما بإبراز طموح مشروعه لم يعد سارتر ذلك الطالب المهم طالب معهد المعلمين العالي، ولم يكن ذلك أيضاً بالقد الحبيب الذي برز عام 1940، ورغم ذلك فإن ما يشهده من رغم السياق والشروط كان عبارة عن الآلية الثقافية نفسها تلك الآلية المتجددة والقوية والمنطلقة.

وبالطبع، إذا كان على الرواية أن تدرس الأفراد وسط المجموعة ومن خلال المجموعة، يقول سارتر مفصلاً، بدل دراسة المجموعة بواسطة الأفراد ومن خلالهم، فإن تقنية كاتب الرواية يجب أن تكون عرصة لتعديلات عميقة [ ] فعلى الروائي أن يستمر بمعالجة الأفراد كما فعل دائماً على أنه فقط أن يجعلنا نشعر في كل لحظة أن طاقة المجموعة القوية هي التي تعف قلب الفرد [ ] والمسألة التي طرحت في المرة الأخيرة كانت التالية كيف يمكن صهر الكون في العمل الفني، الكون الذي يعتبر وحده حقيقاً، أما المواضيع الفردية فتبدو كمعادج غابرة في هذا الكون؟ هكذا يرى أن الموضوع الذي يعالجه الآن ليس مختلفاً به فقط لا يحظى بالنساع كبير فالواقع أن الرواية الاحتجاجية المعاصرة

(الرواية الروسية على سبيل المثال، أو جزئياً، الرواية الأميركية) لم تعد تدرس الأفراد بقدر ما تدرس النسي الاجتماعية كيف يجب أحيدها حتى نحفظ للعمل الفني وحدته<sup>٦٢</sup> يجب أن نحمل فعلاً، أنه إذا كانت المجموعة موجودة فعلياً، فإن وجودها ليس محسوساً إلا لا نتعرف عليها إلا بمفاعيلها، ومفاعيلها هي حقائق فردية،<sup>(٦٢)</sup>

كما أنه درس مسألة العلاقات بين الفرد والمجموعة، متخذاً لذلك مثلاً «Hommes de Bonne Volonté» وهي رواية «Jules Romains» - معتبراً إياها وبعبارة رواية هريشة - إلى جانب رواية «John Dos Passos» بعنوان 42<sup>e</sup> Parallèle التي يعطيها قيمة أكبر من الفرد مستغرق في العالم. هكذا تقول ملاحظاته، «يجب أن نشعر كم هو صغير الرجل بين أقرانه المشابهين له، ومع ذلك فهو محكوم من الآخرين [...] أن نحفظ لكل شخصيته الفردية (حلاًفاً لـ «Dreiser»)، [...] هكذا نجد أن كل شيء قد وصف تجاه الفرد في كل مقطع يستعمل فرد كمركز مؤقت [...] موضوعية مطلقة عند «Dos Passos» لا نحكم إطلاقاً، أظهر الشخصية وهي تحاكم نفسها، وقدم وصفاً دون إعطاء رأي [...]»<sup>(٦٣)</sup>

هكذا، وأمام جمهور محدود أتى ليستمع إليه في هافر، وبعد سموات أرمع، يأتي إعلان مقالته الشهيرة عن «Dos Passos» ولقي طبعته في NRF والذي انتهى بهذه الخلاصة - الإعلان «كم هي بسيطة، هذه الوسيلة، وكم هي فاعلة» يكفي أن نروي حياة ما بتقنية الصحافي الأميركي، حتى تتطور الحياة في الاجتماعي [...] أما أعتبر «Dos Passos» أكثر كاتب في عصرنا<sup>(٦٤)</sup> نحن نعلم لاحقاً، أن سارتر قد طبق هذه الوسائل على روايته «Le Sursis».



## الفصل الحادي عشر

### سنوات الحرب: لا خائن ولا بطل

حين كنت دراستي عام 1982 قيد التخصير، كان الوقت غير ملائم تماماً على صوء هذه المرحلة حينها أصدر الملام غيرهارد هيلر (Gerhard Heiler)، وهو شخصية ذات ماضٍ تاريخي مثقل، كتاباً تضمن مذكراته بعنوان «الماضي في باريس»<sup>(65)</sup> فقد عرف بأنه من بعد المراقبة على الأدب الفرنسي وقد عاش في باريس إبـس فترة الاحتلال الألماني العديد من الكتاب الفرنسيين - موريس Mauriac، مولهان Paulhan، جوهانـو Jouhandeau، دريو Drieu لا روشيل La Rochelle وأحرين كان كتابه إداً، منظرأ بكثير من الاهتمام والحسرية فهو يروي على سبيل المثال أنه حين كان يجلس أحياناً وملابس مدني في مقهى «Flore» بين 1942 و1944 كان يرى سارتر يجلس هناك ويعمل. وفي مكان آخر لاحقاً وفي حديث معه يؤكد هيلر Heiler «أن دريو (Drieu) قد أعاد افتتاح «NRF» لقاء تحرير بعض الكتاب الأسرى ومنهم سارتر». بعد وقتٍ من ذلك وبخصوص هيلر بقراً في الصحف، أن سارتر كان إبـس هذه الفترة «من الأشخاص الأثيريين لديه».

في دفاعه، لم يكن هيلر يأمل بأن يقوم بعمل المؤرخ، ومع ذلك فإن كتابه قد فتح الطريق أمام كل أنواع الانحرافات الغريبة،

وباللاقات متناحرة، كما كان الحال عادة. إبدأ وفي هذه الفترة وفي العديد من البؤويات التي أثارها سلوك سارتر إنان الاحتلال، بعد الشك يحوم حولها. من هنا كان قرارى أن أقوم ببحث عن سارتر بشكل كلي، ومداه أثرت البحث في ما أثير حوله من أسطورة له. توجب عني أن أذهب للبحث في الأرضيات، وأن أجد وثائق وشهادات وأن أعاد البحث عن الشهود، فأسألهم، وأب أقوم بعمل كلاسيكي كمؤرخة مع مقارعة المصادر، مع قيمي بتجميع وتحسين كل النصوص التي أنتجها سارتر إنان هذه الفترة من نصوص خاصة ومراسلات «Carnets de la Droite de Guerre» «Lettres au Castor et à Quelques Autres» قطع مسرحية (باريونا، الديبالي Les Mouilles، الأبواب المغلقة Huis clos)، سيبارير أفلام (تيفوس Typhus، نهاية العالم La Fin du Monde، الألعاب انتهت Les Jeux sont faits) فلسفة (الوجود والعدم L'Être et le Néant)، روايات (طرق الحرية Les Chemins de la Liberté)، نقد أدبي (pour Comedien، الرسائل الفرنسية السرية Les Lettres Françaises)، دفاتر الجيوب (Françaises clandestines، Les Cahiers du Sud)، نقد سيماني (الشاشة الفرنسية) مقبلات «Combat»، محاضرات في الفلسفة (ليسيه باستور وليسيه كودورسيه)، دون أن ننسى النصوص السياسية المتعددة التي حررت في مختلف شبكات المقاومة التي أسهم فيها سارتر.

بين الشهود الذين ساعدوني على إعادة تكوين مكانة سارتر في فرنسا إنان الاحتلال، قابلت كل من كوليت أودري Colette، جان بالادير Jean Ballard، جاك لوران بوس Jacques Audry، جان بريتر - مركور Jean Brulter-Vercors، كريستيان كاساديسوس Christian Casadessus، جورج حاريلاس Georges

Chazelas' جان شولير Jean Chouleur، جان فيني - بريدال Jacques Debù-Bridel، دومينيك و جان - تومسان (توكي) Dominique et (Jean-Toussaint «Touk»)، ديرنتي Desanti، صيغور دفاوسو Simone Devouassoux، ميير إيسلر Pierre Isler، جان - دانيال بورغنس Jean-Daniel Jurgensen، مدام بيير كان Mme Pierre Kaan، جان لسكور Jean Lescure، راؤول لفي Raoul Levy، روبرت مورهي Robert M. stahl، كلود مورغان Claude Morgan، بيير بيف-بيول Pierre Piganol، جان بويلون Jean Pomillon، ج. ب. بونتاليس J-B Pontal، جان رابو Jean Rabaut، كما اني راجعت الأرشيف الوطني وأرشيفات التعليم الوطني، وأرشيفات كل من بولهان Paulhan، وبالادير Ballardur و مدام بيير كان، وكذلك أرشيفات المؤرخ سماتار لتلك الفترة جيرار لواسو Gerard Lussaux<sup>(66)</sup> كان علي أن أرفض القراءات الجريئة التي تقوم على معاناة أجزاء من المسار السرثري، وعلى مره من سياقه وعلى تمجيده بهدف تلويح مجرم بحث كما توجب علي أن أحتل وفي وقت واحد كلية كتابات سارتر ومشاطاته إن هذه الفترة وهذه العمل من هذا النوع، هذا ما فكرت فيه في حينه، هو القادر على الإسهام في إجراء تقطيع لطبقات التناويل المتتابعة وللحواشي التي تجمعت على مر السنين، وقد سمحت بوقوع انحرافات مثل التأكيد الذي هو أن سارتر كان صديقاً حميماً للقائد هيلر، ثمة شهادة واحدة، هي شهادة سيمون دي موفوار في «La Force de l'Âge»، أثارت قلقي وبدءاً من الصفحة التي وجدت فيها أخطاء تاريخية وتقاربت وقائعية، قررت أن لا أعود إليها إلا بالنسبة لعناصر لا قيمة لها في مشروع سارتر على مدى هذه المرحلة

بعد الانتهاء من هذه الأبحاث، أصبح في وضع يؤهلني القيام بتحليل يتناول موقف سارتر إبان فترة الاحتلال فما هي

المنجى التي توصلت إليها إلى المقيمين بأن سارتر لم يكن بطلاً، ولا كان جدياً أيضاً. ومع ذلك فقد شغل موقعاً لا لحس فيه في موقف مناهض للمحتل ومناهض لروحية [حكومة] فيشي Vichy منذ خروجه من معسكر الاعتقال عام 1941، إذ شارك مع مجموعة المقاومة (اشتراكية وحرة)، وكان هدفها إقامة الاشتراكية في بلد منحرر من جديد من الفاشية. هذا البرزخ مع الطموح كان يتضمن أيضاً مشروع دستور لفرنسا ما بعد الحرب، أسهم سارتر في تحريره في جزء كبير منه. هنتر Hier يقوم بإبعاد رجالنا، يكتب سارتر على سبيل المثال، إنها حالة وقائعية لا يمكن لنا القبول بها إذا قبلنا بنظام فيشي، على يكون رجلاً أبداً لا تواطؤ مع المتعاملين لأنه علينا منذ الآن أن نبني مجتمعاً لا تكون المطالبة فيه بالحرية كلمة لا معنى لها...<sup>(67)</sup>

ضمت المجموعة حوالي خمسين عضواً (من أساتذة وطلاب) وهم يتحدرون من الفاشية (Marrou) والماركسية (مارلو - بوتي Merleau Ponty)، بل من النروتسكية، تحقوا حول سارتر المناهض للشيوعية ومن أنصار بروبور ربما كانت هذه المبادرة غير متوقعة وغير واضحة، إذ لم يتبع «الاشتراكية والحرية، أن تحقق طريقاً ثالثاً بين ثياري المقاومة العامين أذاك الديمقراطية والشيوعية انتهى الأمر بالمجموعة للإحلال، بل إن بعض أعضائها أمثال تومسيك وجان توسين ديسرتي Dominique et Jean - Toussaint Desan ، قد قرروا الانتقال إلى المقاومة مع الحرب للشيوعي في منطقة الجنوب أم سارتر فقد قرر احتياط أسلحة أخرى لمواصلة الحرب، بادئاً بلقاءات مع حيد Gide، ومع مالرو Malraux في المنطقة الحرة منذ آب أغسطس 1941، في محاولة منه لإقناعهم بالانضمام إلى المقاومة العاة بعد ذلك استمرت نشاطاته في المقاومة السرية في ربيع

1943 حين عمل مع مجموعة AGATE (اتحاد مجموعات العمل التقني) مقام بمساعدة صديقه بيير كان (Pierre Kaan) الذي صار في هذه الأثناء أحد المقربين من جان مولين Jean Moulin، على «تقديم بعمليات تخريب ضد زوارق الإمداد في سدود هاريسون Vernon تمحورت هذه العمليات حول جماعة من جريحي قسم العلوم في معهد المعلمين العالي أمثال بيير بيقانيول Pierre Pigamo، بيير مرسيه Pierre Mercier، وريمون كربولون Raymond Crolant، وقد ارتبط أعضاؤها بشبكة «Velite - Thermopyles» كما عملوا على خلق شبكة مقاومة في كوريز Corrèze، قبل أن تتوقف بشكل مأساوي في كانون الأول 1944، بعد مصرع 41 من الشباب الملتحقين بها<sup>(64)</sup>.

بحرج هذه الالتزامات السياسية، قاد سارتر معركته على طريفته على الجدول الإيديولوجي، مع انقطاع للكتابة، وبمحتاج عزيز، أشرون إليه أعلاه هذه المصوح، إذا ما فسرت من منظور فينومينولوجي، أي إذا ما استعدينا إعادة بناء وجهة نظر سارتر انصلافاً من منطق الداخلي، فإن ذلك لن يترك أي شك على خياره للمعسر، ثم إن تحريرة الأسر قد مثّلت بالمسبة له «انقلاباً في الاجتماعي» على الصعيد السياسي، وبقطة في مجال التاريخانية، على الصعيد الفلسفي.

لندكر بكماه «الدياب» الذي حاول أن يحارب ضد «مرصى الدم، هذه المجاملة مع الخل والمداواة» الذي يشكّر روحه فيشي لندكر بمصه «ماريس تحت الاحتلال» «لم يكن أحراراً في وقت من الأوقات كما كنا تحت الاحتلال الألماني لقد أضعنا كل حقوقنا، وأولها حق الكلام كنا مضرب على وجوهنا كل يوم، وكان علينا أن نسكت [ ] في كل مكان، على الجدران وفي



الحرارة وعلى الشلش، كنا نحد ذلك الوجه الذي حاول قامعونا إعطائه عنا، ونسب ذلك كله كنا أحراراً، ذلك أن النسم الساري كان يرحف حتى إلى أفكارنا، وكل فكره صحيحة كانت انتصاراً، ذلك أن الشرطة الكلية القوة كانت تبحث عن إلزامنا بالسكوت بكل كلام صار كلاماً قمعاً، إنه بمثابة إعلان منبأ ولائنا كنا مطردين، صر لكل حركة من حركاتنا ثقل الالتزام<sup>(٩٩)</sup>، مذكر أحيراً بالنص القوي جدا حول Dne u la Rochelle، في الرسائل الفرنسية السرية

في نهاية بحثي الاستقصائي توصلت إلى إعادة عناصر دت دلالة حول وصعية الرقص عناصر متفرقة، دون شك، من خلال نشاطاته كأستاذ يكفي أن نقرأ تقرير التسجيل في 17 آذار مارس 1942، لنعلم أن «حكومة فيشي» قد اعتبرت الكاتب عنصراً متمرداً يجب إعادته إلى الانتظام، السيد سارتر كما كتب رئيس أكاديمية باريس المسمى من قبل حكومة فيشي، جيلبرت جيدن Gilbert Gide، يبدو أنه فهم وهو الذي نشر كتابه بمشورات NRF، «لجدار» والعثيان، أن هذه الأعمال مهما كانت المؤهبة التي يشهد له بها، فهي ليست من الأعمال التي يؤمل أن تكون قد كتبت من جانب أستاذ، أي ممن هو مسؤول عن الأفس على السيد سارتر أن يتأمل بالنسبة لهذه المواضيع ببعض الأسطر من السيد «Andre Bellevor»، وأن يهتم بمسيرة مهمته ووجوده<sup>(١٠٠)</sup> عودة عربية للأشياء، أستاذ سارتر القديم كان قد توفي قبل أيام من ذلك، وفيشي قد قدم له تقديراً لاحقاً، حيث يسجل حضور برازيلاخ Brasiliach

بكفي أن نسمع تلامذته العدام الذين تذكرنا جميعاً «فناحة واستعداد وكرم الأستاذ، الذي يمكن النوحه إليه بأي كلام وأن يسأل عن أي شيء» مذكرين بما فعله جان بالادير إن طلب منه ذات يوم أن

يستقبل أحد أصدقائه من الأهل من أصل تركي، من اليهود المهاجرين، الشاب مرزاحي الذي قرأ لتوه «الوجود والعدم» وكان يأمل أن يقابل صاحب هذا الكتاب. وتعال إلى الطابق بين الرابعة والخامسة، هذا ما أجاب به سارتر للفلسفة أسئلة شخصية، لقد صدر قسور الخدمة وكان سارتر قلقاً بعد لئراسي، يسرني أن أتحدث معك، وهكذا من مقابلة إلى مقابلة وسارتر أحد علماء شيئا فشيئا بأن هذا الشاب وهو في صف الكاثوليك يتنهي لترك دروسه، ليتابع أعمالاً صغيرة تساعد في كسب عيشه، يجب أن تنتهي للناس، قال سارتر بقناعة عبارة حجولة، ثم عينية، وكان سارتر يدفع شهرياً لمرزاحي حتى سنوات النازل.

أما مفاجائي، فكانت الشبهة التي تلحق بسارتر وأنه كان مفادعاً، وبالشكوك حول تصرعه طيلة سنوات الحرب، أنه عرض ضالماً كان مؤلماً في وسط فرنسي يلعب دور الرقابة العتيدة<sup>١</sup> لم يتسّر لي كلياً أن أطلع على كامل الأرشيف الذي جمعه، ولا على مجمل المحاضرات التي ألقاها سارتر بين 1942 و1944 في لبسيه كودورسيه، أمل في السنوات القادمة أن أتمكن من إعطاء معلومات جديدة في هذا الملف.



## الفصل الثاني عشر

### الستاليني المعتدل

عام 1945 فيما كان معظم المثقفين الفرنسيين ينتسبون إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، على أساس انطلاقة جديدة بعد الحرب، راح سارتر يطور نظريته في الالتزام، جامعاً حول سجة «الأزمة الحديثة» طافات من أجل حل رموز العالم المعاصر وفي «تأملات في المسألة اليهودية»، مركزاً على التحلي عن تبو النشارن، «لم تكن علاقاته مع الحزب الشيوعي الفرنسي سهلة»، هذا ما كتبه جورج مارشييه Georges Marchais السكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي غداة وفاة سارتر<sup>(١٢)</sup>، متهماً المناسبة ليميني «أحد أكثر العقول في عصرنا» بعد هذا الانسحاب الذي أعقب المناسبة، هل يحس الوقت الطويل من الثورات؟ فالصور الأكثر تعقيداً قد نشأت من خلال هذا الثوري بين مجموعة الأزمة الحديثة والحزب الشيوعي الفرنسي والفترة هذه شهدت على التوالي صدامات، وكراهية، والنواظؤ والاقتراعات المفاجئة، ثم القطائع الجارمة، مع الاحتقار أو المجاهر المتبادل أحياناً

حين ابتدأ الفارمخ قبل الحرب لم تكن شهادة سارتر تحاه السياسة إلا ذات مصلحة بعيدة وما بين الحرسين، ساعة «تعاطف

مع الاتحاد السوفياتي والمثاليات المتسارعة، كان اسجاب سارتر واصحاً وعلاقته بالحرب الشيوعي إبان هذه الفترة مرجحة ملا رافضة بول ميرال وسارتر يروي بدوره، مع بعض المراحلة دون شك، كيف كان ينظر إلى صديق مراهقته، وقد أصبح عام 1929 شيوعياً، ثم صحافي الحرب. «كنت أعتبره - يكتب سارتر، الشيوعي الكامل، وكان ذلك ملائماً لقد صار في نظري الناطق باسم المكتب السياسي كنت أحد طابعه، وأرفامه، وعنه بوصف مرافق محططاً لها من مكان أعلى» [بعد المعاهدة الألمانية - السوفياتية] علمت من الحرائد أن الناطق باسم المكتب السياسي قد ترك الحرب، معطياً هذه القطيعة ضجة كبرى. بدأ لقد كنت مغشوشاً بكر شيء، ومدد رمي طويل...<sup>(73)</sup>، لا شيء يستحق المعايمة، فقلة اهتمامه وحيله بالآلة الشيوعية، وبكل مؤسسة سياسية، يبدو هنا بكل وضوح

في كل الأحوال لم تكن العلاقات على هذه لدرجة من السهولة بين سارتر، الأستاذ الصغيره اللامسيثين وبين ميرال صحافي الحرب. وهذا الأخير وفي إحدى رواياته «حصان طروادة» يصف سارتر بالبرجوازي الصغير الرجعي، وتشاؤمه الجذري يدعمه لالتحاق بأعداء الطبقة العاملة تلك كانت حائمة الروية، تحت هذه الإدارات بُفتح حوار الطرشان الذي سيمتد قراءة 40 سنة، بين سارتر والحرب الشيوعي الفرنسي وهي مرحلة مرت محاولات متعددة وأدت إلى علاقات معقدة عام 1941 و1942 كان نشاط الفيلسوف موارياً لشبهات الحرب تجاهه إنها مرحلة مساؤل ووقوع في الدوامه بالنسبة للحزب الذي بدأ العمل السري منذ العام 1939، وكان حزباً منقسماً من خلال تحيز زعمائه، ومن خلال التوترات الداخلية، العادة وغير العادية، وتصعية الحسابات

من كل الأنواع وكما هو الحال باستمرار في هذه المراحل من «عمل» لا تكون الصراعات مع غير الشيوعيين صراعات هادئة وبقدر ما يكون الحزب ضيق التفكير بقدر ما تصبح علاقاته علاقات متعصبة كذلك أدى الاتفاق الألماني السوفييتي إلى صعوبات المفاضل، وصارت الأوامر التي تعطى من فوق أصعب من أن تكون عادية. فالمزاومات الأكثر فوضوية صارت واضحة والهجمات باتجاه الخارج صارت ملموسة أول المتضررين، الاستقلالات التي أعقبت الاتفاق بالدرجة الأولى تورير يتصدر الهجوم ويشن هجوماً قاسياً على نيزان، باعثاً إياه، من جملة ما ينعت، «بالكلب العاسد»<sup>(74)</sup> الذي يقبض من وزارة الداخلية، مات نيزان على الجبهة عام 1940 وعندما عاد سارتر بعد سنة من ذلك من معسكر الاعتقال، كانت الهجمات التي انصبت عليه من جانب الشيوعيين، في جزء منها دون شك، مرتبطة بقضية نيزان

بعد خروجه من الأسر، عمل سارتر في المجال السياسي لمس داخل مجموعة المقاومة (اشتراكية وحرية)، حاول في وقت ما أن يتحالف مع الشيوعيين. مما لا شك فيه أن مشاركة سارتر في نشاطات المقاومة السرية هذه قد مثلت أولى خطواته في مجال العمل السياسي، بإمكاننا أن نتوقع من جانبه شيئاً من عدم المهارة، ومع ذلك «هأي حذراً لنتترك سارتر يصكي نفسه عن الحديث». أجاب الشيوعيون المبعوث الذي كان من قبلي «إخبروا سارتر هلقد حذر مقابل خدمات قدمها للألمان، إنه جاسوس يريد إعطاء معلومات عن كيفية سير العمل في المقاومة...»<sup>(75)</sup> ثمة هجاء يدور حوله في منطقة الجنوب لاستكمال التشبهات، إنها عودة مفاحة جداً لسارتر فقد سرت صفة تقول إنه قريب من هيدغر، في مفاهيمه الفلسفية، إنه إياً نصير للاشتراكية القومية

(البرية). أما مجموعته هي المقاومة فقد انتهت من تلقاء ذاتها من خلال المحدث عن طريق ثالث مستحيل بين الدعوليين والشيوعيين

شكّلت سنوات 1943 - 1944 مرحلة تعايش ونساجم بعد شهر حرمران 1941 ومع دخول الاتحاد السوفياتي الحرب بدأت الريح تدور حيدنها، ومسرعة أحد الشيوعيين الالتزام وبكثيرة وببشاعة في المقاومة، باحثين الانفتاح على تحالفات واسعة انتهى الإبعاد هكذا وجد سارتر نفسه ومنذ بداية سنة 1943، يعمل في اللجنة الوطنية للكتاب مع رفاق شيوعيين، مع امرعاجه أول الأمر بسبب الاتهامات التي ألصقت به فالمرحلة هذه لم تكن شيئاً آخر سوى هدية سحرية وسيكتب سارتر أربع مقالات في *Les Lettres Françaises* clandestines، إلى جانب إيلوار (Eluard) وأرامون (Aragon)، حتى لو فصل الجدل الحاد ضد دريو (Drieu) عن العبدية السياسية - الوطنية، وحتى لو كان صوته قد مر هامشياً، فإن مرحلة التحالف هذه قد دامت لسنتين... حتى تحرير باريس

في السنوات الثماني التالية (من 1945 حتى 1952)، وفي وقت أصبحت غالبية المثقفين الفرنسيين إلى الحرب، كانت المرحلة بينه وبين انخراط الشيوعي مرحلة هدام وكراهية كان سارتر في طريقه نحو الشهرة، إنها ثورة الوحدة، وبداية مجلته، الأرمنة الحديثة، ومصانعة المواقف التي اتحدوا، والمحاصرات، والعقالات والرحلات، إلخ ثم إنها المرحلة التي كان هو فيها العدو رقم واحد للشيوعيين، إنه معي مريف معادي الماركسية، هذا ما قاله غارودي<sup>(76)</sup>، حيوان حطير، محاط «مرمرة من البرجواريين المضطرب تنظر معين مرة وأصحاب أقلام عريضة، وبزاع رحو»، هذا ما أكده جان كاما (Jean Kanapa) الذي كان تلميذاً له<sup>(77)</sup> وفي

حريضة «Humanite» يؤكد غي لكرك Guy Leclerc أن سارتر، وفي «الأيدي القدرة» قد باع نفسه بثلاثين من العصاة وبصحر من العذسات الأميركية.<sup>(78)</sup> شعة نمطان من الانشقاق بين سارتر والحرب الشيوعي الفرنسي هي تلك الفترة، الانشقاق الأكثر عسفاً، انشقاق له طبيعته الثقافية والفلسفية، وقد حدث ذلك في وقت كان فيه الشيوعيون قد تركوا الحكومة الفرنسية وكان الحرب يشهد مرحلة تشدد وصراعات من جانب آخر ذات طبيعة سياسية، لأن هذه المرحلة قد شهدت سارتر يفقد حركة RDR في محاولة منه لإيجاد طريق ثالث، ولكن هذه الحركة سرعان ما عثلت، ثم إنها المرحلة التي شهدت سارتر يساوم على وضعيته تجاه الحرب الشيوعي لقد قاد معركة على يسار الشيوعيين، دون أن يحتدي بهم.

ثم أتت بعد ذلك أعوام 1952 إلى 1956، سنوات رقيقة الطريق الأربع مكان توقيف جاك ديكلو (Duclos) الجائر، بعد قصة عرفت بفضيحة «الحمام الراجله» ما أثار رداً غصاً من سارتر «الذي استطار غضباً ليطير لمساعدة الشيوعيين الذين يهاجمون دون حق» كان عليّ إما أن أكتب أو أن أعتيق. هذا ما شرحه ليعود ويكتب «الشيوعيون والسلام»<sup>(79)</sup> وكان ذلك من أولى محاولاته في التأمل العميق في علاقته مع الشيوعيين «إن المماهر الشيوعية هو كلب»<sup>(80)</sup> ظلت العبارة شهيرة، وهي تشير إلى «عصر مؤتمر في هيننا، رحلات إلى الاتحاد السوفياتي، بل إن سارتر سيصبح نائب رئيس رابطة فرنسا - الاتحاد السوفياتي، تشترك جذر رعم كل شيء، وسيبتهى بشكل مفاجئ كما ابتداء مع احتياح السوفيات للمجر عام 1956 ما يدفعه نحو المعارضة، سيلافي الحرب الشيوعي في منطق، العمطق النقدي لجماعة «الأزمة الجديدة»



بتركه محور الحرب الشيوعي الفرنسي، بدأ سارتر مرحلته في تسيي قصص العالم الثالث، وهو يصف في مقالته «شرح ستالين» أسباب قطيعته الهائلة مع الحرب الشيوعي الفرنسي «اليوم يعود إلى المعارضة [ ] وتحاول المساعدة في ذلك ارتباط الحرب الشيوعي الفرنسي بالاستالينية»<sup>(٨١)</sup> أو أبصاً «مع الرخايل الذين يديرون الحرب الشيوعي الفرنسي في هذه اللحظة، يستحيل استعادة العلاقات بكل حركة من حركاتهم هي نهاية 30 سنة من لكذب والتصلب»<sup>(٨٢)</sup> لقد تحرر سارتر من الوهم والحرب الشيوعي يبقى بالنسبة له حليفاً، وإن كان حليفاً مشكوكاً فيه «الارسة الحديثة» ظلت ترى في الحرب وسيطاً تجاه الطبقة العاملة، ولكن بالطريقة نفسها التي يظل الاتحاد السوفياتي فيها وسيطاً تجاه بعض حركات التحرر الوطني فبعد أن وصاعداً سيواجه سارتر نحو العالم الثالث تأييد قوي لكل حركات التخلص من الاستعمار حرب الجزائر، كوبا، حرب فيتنام، لقاءات مع فانون، ولومومبا، Lumumba، ومهاجمة منظمة سياسة الشيوعيين حول هذه المسائل. وفي الوقت نفسه تابع سارتر اكتشافه للعالم باتجاه كل ما يتحرك. منبهاً إلى حركات التمرد الاجتماعي مسجلاً تشاؤمه الذي بدا واضحاً تجاه الاستعدادات المؤسساتية السياسية

ابتداءً من 1968، دخل سارتر سمواته إلى جانب التيارات اليسارية ماقترب من الماويين بقدر ما كان هؤلاء الاقصر عسى ترجمة العموية والفليان الاجتماعي بدءاً لمعطى الدوائر ذات المركز الواحد والاكثر قرماً من عالمه الذي يشكل واقع إدراكه للعالم - راح سارتر مهتم بكل الأمور الهامشية في فرنسا بالمساحين، بالمواطنين، إلخ. مقتعاً لهم الدعم العام لقد شرع

العمل مناصلاً للمرة الأولى في حياته مع مجموعات مقموعة جداً مثل اليسار البروليتاري، ومجموعة الثورة، وسيبهم في خلق وكالة أبناء وجريدة «Liberation». أظهر سارتر تأييده الرسمي لمعشقين السوفيات معترصاً على مناهضة السامية في الاتحاد السوفياتي، ثم أعلن بوضوح في نهاية حياته موقفه من أجل اشتراكية من نمط تحرري، للمرة الأولى صار سارتر لا يرى في الحزب الشيوعي المعبر، بالجيد والخص، عن الطبقة العاملة فعند الآن وصاعداً عاب الحزب عن أفقه. فالأوراق السياسية قد احتلكت، وسارتر صار أكثر قرباً من المؤسسة، وحين ذهب مستنداً إلى برميل ليحطب في العمال الشيوعيين في بيلكورت (Belancourt) باسم اليسار البروليتاري، كانت ردة فعل الحزب ضعيفة، ففي نظر الشيوعيين بالذات تحول الحزب إلى بناء، بناء من يسارية لا تستعاد.

مسار معقد، مسار متعرج يتناسب مع تحولات تطور نشاطات سارتر بالذات. مسار بات عليماً الآن أن يؤله وأن يحله، وأن يسره على ضوء تدبب خط الحزب الشيوعي وتمالفاته التدريجية. وقبل كل شيء لماذا لا نأخذ بعين الاعتبار النقد الأول المهم الذي كان سارتر موضوعاً له، والذي كان مصدره بطريقة متكررة من مناصلين شيوعيين قدامى، لماذا على سبيل المثال صيغة إدغار موريس Edgar Morin الذي استخدم في وصف لسارتر مفهوم «hypostasienn» بدل استعمال «hyperstatienn» الذي يعنى وجود معسكرات الاعتقال ويدعم الاتحاد السوفياتي بشكل أعمى. والسناليهي السوبر هو من يقبل كل الانتقادات تجاه أول بلد اشتراكي لكنه لا يسعمر بحراة في البحث عن الثورة في كل مكان من العالم. انتقادات لسارتر صارت سحبفة وقد اكتملت

قبل بصع سنوات. لقد تم إرسالها بالعقل وبعلم النفس وبشكلها الأكثر تطوراً فهي استعدادات تنظم دعاً لأبعاد ثلاثة سياسية، ومعرفية، وتحليل مفهوية (تقريباً).

**النقد السياسي** لعب سارتر على مر الوقت وبشكل متجدد، دور «مورييه» (Laurier) الشيوعية، بشكل كامل أو الأمر ثم إن المرحلة الرابعة (بين 1952 و 1956)، ثم لاحقاً إن اتحاد موقفه من الصراعات العالمية الكبرى، لعب الدور نفسه «الولايات المتحدة، إنها العدو» دور بارع بسداجة، الأمر الذي دفعه على الدوام للدفاع عن الحزب الشيوعي الفرنسي ضد الهجمات الأولية، وفي مساندة حركات التحرر بطريقة متمايزة، مع تفصيل واضح، تفصيل لمن يعارضون الإمبريالية الأميركية، ثم أخيراً لإعلان الماركسية «أفقاً لا بد منه في عصرنا» مبقياً بذلك لامتلاكها على تبعية «ناجمة مع الشيوعية دور علم منه كان حضور سارتر، وهذه هي أطروحة أني كريغل (Anne Kriegl)، يلعب دور نوع من «معلم التنظيم» في الحرب الشيوعي للفرنسي وهو حضور خطر بقدر ما يبدو بريئاً ومشغولاً، تقوم وظيفته على الإحاطة بالمعدل الثقافي بشعوية لا تخدم على المدى الطويل سوى مصالح الاتحاد السوفياتي من خلال بيع سلاح من يهايون بشكل قوي حقيقة الغولاغ (Goulag) (٥١)

**النقد المعرفي** هذا الدور البريء يتأتى قبل أي شيء آخر من «لا كفاءة» سارتر الواضحة في الحقل السياسي وهي مقولة

(٥١) الغولاغ (Goulag) هو مصطلح للمعسكرات في الاتحاد السوفياتي السابق [المترجم]

تلقى صدى واسعاً في أيامنا (الأخطاء المشهورة المشار إليها أعلاه) وهذا ما يستدعي ضرورة أن نتوقف عنده.

**النقد التحليلي - نفسي** أخيراً وفي أساس تصرف كهذا نجد داتاً عاصية تكره نفسها، وسارتر سيلعب كل يوم لعبة شهرته، بالمغامرة في عالم ليس عالمه، بل هو يسيطر عليه بشكل سيئ وبذلك، وبمباروشية أكيدة يقوم بتعريق طيقته، وثقافته وماضيه من حيث المدشا ربما يستعيد وبالطريقة نفسها سلبيته لما قبل الحرب، ويصف عيابه عن حركات المقاومة ولبص في موهبته في السياسة، فهو يتقدم في حقل ملغوم، مقدماً نفسه ضحية تبعاً لمنطق نسائيية.

هذا التأويل الذي وجد له العديد من الأنصار في أيامنا، لا يتطابق مع الأحداث، والعلاقات التي أقامها سارتر مع الحرب الشيوعي الفرنسي لا تتقارب بأية لحظة مع هذا الامتداد المتواطئ والانتحاري، الذي نقاسمه، في سنوات ما بعد الحرب، العديد من المنقذين تجاه الحرب الشيوعي في الواقع، فإن علاقات سارتر بالمعاصرين الشيوعيين بالمعنى المصري للكلمة كانت قليلة جداً فهو يفهم بشكل سيئ، بل ما هو أدهى من ذلك، فهو لا يبدل أدنى مجهود في التعرف إليهم هذه الحالة لا تصادقها لاحقاً إبان المرحلة اليسارية حيث اقترب من المعاصرين الماويين، مقبلاً مع البعض منهم علاقات صداقة حقيقية، متقاسماً وإياهم مصادرسة مصانية مدعة مع الشيوعيين لم يكن الأمر مشابهاً وحده النقاش الثقافي هو ما كان يهمه، ثم إن أسس خطابه المقابل للماركسيين الفرنسيين من كايابا Kanapa إلى ألتوسير A thusser - كان يقوم على تقديم فلسفة الدائره والقصدية

هذا ما لاحظته مارلو - موبدي Merleau-Ponty - أحد أفضل مفسري «الماركسية السلوترمة» - إذ أشار إلى الأسس العنماوية والموضوعية عند الماركسيين الفرنسيين بشكل عام. في الواقع، فإن عمق مشروع سارتر لم يكن تأسيس تفكير الشيوعيين بهدف التأثير في عملهم، فهو يقول ذلك ويردده دون انقطاع حتى إننا مرحلة التوافق معهم في الطريق، أما وحدة العمل فهو يقبلها اصطلاحاً من «مبادئه» لا من مبادئهم (هذا ما شدد عليه هو بالذات) والفيلسوف قد يكرس نفسه تجاه الحزب الشيوعي، لمط من السلوك الثقافي السائد لديه، إنه سلوك وصفه بورديو بشكل دقيق معتمراً إياه «موعاً من التجاوز الجذري»<sup>(83)</sup> إنه شكل من التحليل الشمولي الذي يعتاش من موضوع درسه الذي هو في الواقع إمتاح فكره الخاص وسارتر قد تكفل بإسداء حقيقة الممارسة للحزب الشيوعي من الناحيل القول إلى أي مدى كان الشيوعيون يشنعون هذا النوع من الوسائل

ومع ذلك فقد تابع سارتر تأمله بانياً لنفسه استخداماته الخاص لحزب شيوعي يعمره بالمديح هكذا فإن التمثل العملي الذي احتضنه كان الحزب الشيوعي الإيطالي، الذي يشكل نقيصاً للحزب الشيوعي الفرنسي الثقيل، القاسي والظلامي، فالحزب الشيوعي الإيطالي الجار سيحمل بالنسبة له كل علامات الركاء واللبوة، وتوغلباتي Togliatti، المحافظ لم يكن ليمتد بالقسوة التي استند بها ثوريز أو ديكلو، ولعائن لا يجب تقبل حقيقة واضحة، وهي أن سلوتر لا يشعر بالقرب من الشيوعيين إلا حين يتعرض هؤلاء للقمع، فالطريقة التي تدر لنا كيف كان يهبط لمساعدتهم هي نهاية المرحلة الرابعة من حياته هي علامة تشهد على ذلك فالحزب الشيوعي الفرنسي المرفوض والمقموع قد

صار بالنسبة له أمراً هامشياً، يتشابه في ذلك مع السود واليهود والمسجونين إلخ. وبهذه الصفة أبدى سارتر اهتمامه بهم. فإذا كانت شبكة لأموال السياسية - التي استخدمها ادغار موريس من ضمن آخرين - لا تكفي لتفسير علاقات سارتر بالحزب الشيوعي الفرنسي، لأسها لا تشير إلى مجاعات ولا إلى محط العلاقات مباشرة بين الشريكين، فإن الحاجة باتت ماسة لتفسير أكثر دقة

لا يمكننا والحالة هذه أن نحجب عن تفكيرنا واقعة تبدو لنا أساسية وصعبة المتقنين في سنوات ما بعد الحرب. وبالفعل فإن نجاح سارتر الثقافي يمكن شرحه دون شك من خلال التواصل الغريب الذي نشأ بينه وبين الجمهور، ففرنسا استطاعت أن تطور بعض مؤسساتها الجامعية بطريقة موعبة، من هنا بقنا نشهد نشأة مجال ثقافي تحلق حول جمهورية الأساتذة ذات الثقايليد الأرستقراطية والنفذية جمهورية الأساتذة هذه استطاعت أن تيسر سيطرة لا ليس فيها على الحياة الثقافية الفرنسية إبان الجمهوريت الثالثة والرابعة. وكان سارتر بذلك أحد أبرز منتجتها، بل ربما كان آخر من مثلها: ألم يبلغ أوجه في الوقت الذي شهدت فيه المؤسسة انهيارها أو تحللها؟ بكل الأحوال، وفي عصره، مثل سارتر بشكل نموذجي سلطة المثقف النقدية، ونموذج «الهير» - الذي يصهر وصغيات المميز والمبوز - الذي يطبق بشكل كامل على المثقف الفرنسي بعد الحرب

يجب البحث عن هذا الحوار لا في الحقل السياسي، بل في الحقل الثقافي بشكل أكثر توسعاً إن جعل سارتر مجرد مؤيد للشيوعيين، يعني الوقوع على المعنى العلط، ويعني جهل لإطار العام الذي يتدرج فيه اهتمامه السياسي إن موقع سارتر إذا يتحدّد مما يتجاوز النقاش ذا الطابع السياسي، خلافاً لآرون على

سدين المثال. إن إطاره هو إطار فلسفي محض ومشروعه، هو في إطار العلاقة بين المثقف والمجتمع وزمانه، هو زمان على حقيقته وهو من هنا محد قلة انسجام بين هذين المصطلحين، هنا أولاً، وقلة انسجام بين مستويين من إدراك الواقع العياني فسادير يتابع إرث المثقف الكبير الذي امتدأ مع هولتير وروسو، وتمتد متابعته في القرن التاسع عشر مع لامارتين وهيغو، ثم وفريت مما مع زولا Zola ومالرو Malraux وحتى مع أندريه جيد إنه إرث المثقف الفرنسي المتطور تحديداً، مثقف الوعي النقدي للعالم، الذي لا يمكن أن تهوته أية قصيدة عادية، إلى أن تدخل هذه «قصيدة» عفوياً في دائرة الاهتمام والتأثير والفعل من هنا لا يمكن لقصيدة كالاس (Calas) ولا لقصيدة دريفوس Dreyfus إلا أن تكون أحوال توأم لمحاكمة روسل أو للتنكيل في الجرائد وسارتر في «بلشفيته القصوى» قد توصل كما يشرح ذلك مارلو - بونتي أن يجد «فعلاً» أو فعلاً آخر غير الفعل الشيوعي.<sup>(١٢٤)</sup>

## الفصل الثالث عشر

### حرب الجزائر وبدايات مناضل العالم الثالث

تعتبر حرب الجزائر أرض كل التناقضات بين سارتر وكامو وإذا كانت هذه «حرب سارتر» على ما يقول رولاند ديماس Roland Dumas<sup>(85)</sup>، فلا شيء كان يقدر مسبقاً أن يصبح سارتر الفيلسوف المثقف رقم واحد في هذا الصراع لا فلة معرفته بالمسائل الخاصة بالاستعمار الفرنسي في الجزائر ولا تدخله المتأخر وغير المباشر في هذه الأزمة عام 1950 زار مع سيمون دي بوفوار منطقة العراب في حتام رحلة سياحية أكثر منها سياسية «كنا معارض النظام الاستعماري، هذا ما كتبت» سيمون دي بوفوار عند عودتها، لكن لم يكن لديها مسبقاً أي حذر تجاه الناس الذين يديرون أعمال الأهالي أو الذين يديرون بناء الصرافات<sup>(86)</sup> ثم وفي وقت آخر لاحق، وعام 1956، حين ارتفعت الأصوات لتدين النظام الاستعماري الفرنسي، صم سارتر صوته إلى أصوات جوبسون (Jeanson)، دي مارات (de Barret)، ممدوز (Mandouze)، سيرير (Cesaire)، دي ماسكولو (Mascolo) وعمروش (Amrouche) لقد قام بذلك وكما سقري على طريقته، دون أن يبادر إلى اللقاءات لقد صم صوته، هذا كل شيء وبعد فترة مشاحنة مع فرنسيس جونسون من تشرين الثاني/نوفمبر 1956 حتى



ربيع 1949 - حينها سيعود إلى الصف الأول ليقنار مع تدخل فاعل وعام 1960 كل من هذه الراوية سنه الكندي السنة التي عمر فيها شكل كامل في السياسة، إنها السنة لأكثر كتابه في حياته السنة التي تحوّل فيها إلى سفير مصاد لعرب، حيث سافر إلى كوبا والجزائر ويوغوسلافيا والاتحاد السوفيتي، وهي السنة التي استقبل فيها صيفاً رسمياً من قبل عدد غير قليل من رؤساء الدول - مثل كاسترو Castro، تيتو Tito، حروتشوف K. I. rouchichev. ثم إنها السنة التي أيد فيها جبهة التحرير الوطنية الجزائرية فقد صار مدير حرب لفئة كبيرة من أنجليسيا اليسار، وكمنش الفداء عبد البسار الرجعي، «اقتلوا سارتر» هذا ما سيصرخ به في تشرين الأول من العام نفسه المواصلون في أقصى اليمين، لا يمكن سجر فولتير، هذا كان الجواب الرمزي بعد شهرين من ذلك، وقد جاء علي لسان ديومول

ولأجل المفارقة فقط، فإنه في الوقت الذي كانت شخصية سارتر تفرض نفسها في أولى معاركه التي عاشها من أجل العالم الثالث، فإن شخصية كامو كانت في طور الانطفاء كمن كامو الغائب الأكبر عن أرض حرب الجزائر، وتلك مفارقة أخرى، فمن من الضرورة يمكن أن يذكر أن صبي بالكورت (Belcourt) قد جرب الموت والألم في الأحياء السفلى من ضواحي مدينة الجزائر؟ وأنه استسبب منذ العام 1935 إلى الحرب الشيوعي «جرائري» وأنه كتب سلسلة هامة من التقارير الكبرى عن الجرائر عام 1939، وأن هذه المقالات التي حملت عنوان «بؤس القبيلة» (Minère de la Kabylie) قد ظلت من أفضل الشهادات وأكثرها حداثة وتوثيقاً حول واقع الجرائر في تلك الفترة؟ كان كامو يعرف جيداً وتحت كل المظاهر، السياق السياسي، الثقافي والاجتماعي،

والذي في ظله تخفرت كل التوترات التي حرّكت الشعب الجزائري، كان ذلك محالاً بحسن التعبير عنه بكل رعبه، بوصفه صحافياً، وروئياً وأخلاقياً، فكيف نفسر غيابه الغريب عن المسرح السياسي منذ اندلاع حرب الجزائر؟ انطواء سياسي أول الأمر، أشعر بالآلم تجاه الجزائريين، هذا ما قاله ببساطة في الأول من شباط 1955، قبل أن لا يعاود تنخّله إلا لمرات معدودة وبصورة تممّل دائماً كان ذلك عام 1956 ثم عام 1957. وانطفء جسدي أخيراً إد أودي بحياته حادث طرق في الرابع من كانون الثاني عام 1960، وكان ذلك قبل عدة أشهر من المحاكمات الكبرى، والمظاهرات الكبرى والعروضات الكبرى التي حرّكت اليسار

إزاء حرب الجزائر سيشهد إداً غياب كل من سارتر وكامو. ففي تشرين الثاني عام 1954 بدأت ما عرف لاحقاً «بأحداث الجزائر» كان ذلك بعد عامين من النقاش العام بين الكاثينين عام 1954. معني وفاة كامو لم يكن الواحد منهما يتوجه عندهم للأحر، ويبقى العام 1952 إداً العام الذي شهد رسمياً أحر حوار لهم معاً، وكان ذلك أيضاً أحر مواجعة علنية لهما وإدا كانا قد اتخذا موقفاً، أو إدا كان لواءد منهما قد اتخذ موقفاً معارضاً تجاه الحرب في الجزائر، فإن معارضتهما - أو ما حصل عام 1957. وسرجع لذلك لاحقاً - كانت أشبه محوار الطرشان من معارضة فعلية قدر حريين، لصداقتهم، لهذا الثورط المهائي، لهذا الصمت، لهذه الخلافات التي لا يمكن مرؤها مما لا شك فيه أن الخلاف بين سارتر وكامو كان خلافاً أخجته وسائل الإعلام، التي حدثت، وإن دهرح حيث إلى اللقاءات المتخاصمة بين رجال الأدب لفرنسي ذلك أنه لا يمكن سهولة دهر التقاليد إلا ببطء، منجر حلف سهرم سارتر المحيفة، أو خلف كلمات كامو السامة التي ردّها على

سارتر، نلصق ظلال العديد من المماررات المعروفة، كذلك التي جعلت في تاريخنا الأدبي كورباي Corneille يتحاصم مع راسين Racine، ومولتيير Voltaire مع روسو Rousseau، وحديثاً لويس أراغون Louis Aragon مع أندريه بريتون Andre Breton. وحين ظهرت أولى عمليات العنف على الأرض الجراثمية، كان كل من سارتر وكامو قد دخلوا في هذه الأدوار العامة، حيث كانا إخواناً أعداء وقد بات عليهما أن يعملوا من أجل الأفضل. لقد ابتغوا في منطق غريب، في حركات متقابلة ومتوالية. كامو الأهلي، الحساس، المحرق، الواعي كثيئة للواقع الجراثمي، لكنه سرعان ما صار الصامت والعائب. سارتر العالمي، الغريب، المنظر، سيصبح منظر اليسار الرمزي، وبقي حرب الجرائر من هاتين الحركتين اللتين تباعدتا الواحدة عن الأخرى محاولاً التقاط بعض اللحظات وإعطاء بعض الصور.

في 22 كانون الثاني/يناير 1957 كان كامو في نجران، ظلت اللجنة العاملة من أجل هدم مدينة، والمؤلفة من فرسيين ليبراليين ومن مسلمين «من المركز» أن يحمل مؤامرة ما إلى اجتماع حلقة التقدم. كان الجو متوتراً، واليمين المتطرف قد تحرك ضد ما يعتبر حياة اتحاد فرنسا والجرائر الفرنسية متحاشياً التهديد والصريات الحفيفة، سيقوم كامو بإلقاء كلمة قصيرة «عرفت لاحقاً تحت عنوان «نقاء من أجل هدم مدينة»، وقد طُبعت في «Actuelles II»، وفيها يقول كامو «هاكم الرهان القاتل الذي مجد أنفسنا أمامه إما أن نفجح [...] في الاتحاد من أجل تقليص الضرر، وأن نمرر تطوراً مقبولاً، أو أن نعيش في التجمع وأن ندرك أن هذا الفشل سيؤثر على المستقبل بكامله [...]»<sup>(٢٧)</sup> بعد خمسة أيام من ذلك وفي 27 كانون الثاني/يناير 1957 كان

سارتر في باريس. وفي قاعة فاغرام (Wagram) كان يشارك في لقاء واسع نظمته لجنة عمل المثقفين ضد مبيعات الحرب في الجزائر. «نحن فرنسيو العاصمة، وهذا ما قاله بين أمور أخرى، ليس لنا سوى استخلاص درس واحد من هذه الأحداث إن الاستعمار هو على وشك القضاء على نفسه بنفسه. إلا أنه ما زال يعكر الأجواء برائحة عفنة إنه حجة، إنه يسخر من قوايينا ويقرمها، إنه يعيدنا بعنصرية...»<sup>1</sup> حول سارتر، ومنذ هذه الفترة، كتب محمد أول أصداء الدم في الجزائر، بتنا نعاب أولى المظاهرات المعاونة للعرب في فرنسا، وبتنا نرى بعين قلقه التحركات العديدة التي يقوم بها الجيش والبوليس وكان الشك في قدوم دكتاتورية عسكرية قائماً. مع هذين الإعلانين بتنا نرى أول التصورات المتقابلة جذرياً حول القضية السياسية التي كانت مطروحة آنذاك. كامو من جانب واحد يحاول المصالحة بين الجمعيتين «نتخذ لمحد من الخسائره». أما سارتر فقد اتهم المستعمرين الفرنسيين معلناً عليهم الحرب المفتوحة، متهماً النظام الاستعماري الخائن في الجزائر - «إن دورنا هو أن نساعد ليموت».

كان كامو وسط جماعته، يدرك تعقيد الواقع الجزائري، الروابط الإنسانية، والقطائع المستحيلة، وبسمية المسائل، أما سارتر، ومن باريس، فهو يحلل عن بُعد للمدى الكبرى التي تهدد هذا الصراع وتعارضه بطريقة بسيطة، برهانية وعابوية إنه حوار طرشان، بين أسطورتين، بين طريقتين في الصرد وفي التعبير عن هذه الأزمة حتى لو كان الواحد منهما يتوجه إلى الآخر بطريقة مبسطة؟ هكسو ينتقد «الذين يركنون إلى معلومات بعيدة، فمحلل لهم واقعاً لا يعرفونه إلا نظرياً» أما سارتر فهو بدوره يهاجم

هؤلاء، الاستعماريين الحدد، الذين يحاولون مصالحة كل شيء مع كل العالم دون تمييز. وهكذا سعد «روابتيين» عن أحداث الجرائر تدبر الواحد منهما ظهورها للآخرى، وبعد التقهر أصبحت هاتان الروابتان الآن معطين من أسطورة السياسة، مقاربتين مثبنتين رغم كل ما يستكملهما إلهما ميتولوجيا الإجماع بوجه ميتولوجيا ما هو جذري، ميتولوجيا الأوهة تجاه ميتولوجيا نهاية العدم، ميتولوجيا حقوق الإنسان تجاه ميتولوجيا قلب نظام العالم الميتولوجية التي تجعل العنف هي كل مما تجاه تلك التي ترى العنف مثلاً في دكتاتورية الدولة. الميتولوجيا التي تحدد القيم مثل القلب والعقل والشجاعة تجاه تلك التي تبطل فصيحجة المعارضة وتطالب باليقين والمواجهة

طريقتان هي رواية التاريخ وبالفعل، ماذا يعرف سارتر من الصراع في تعبيراته العيبية، وما إذا كانت محربة، هي الجرائر قد تحدثت من كراهيته للعسكريين، ومن الحوف أن تعود حكومة محافظة إلى السلطة، وما إذا كانت أحداث الجرائر بالنسبة إلى سارتر إلا المؤشر للفساد في فرنسا، ولتأكلها. وجهاً بوجه، تقليدان مختلفان سارتر أكثر ميلاً إلى الإيديولوجيا، أما كامو فكان أقرب للدرائعية والأخلاقية وبمسألة المثال السياسي عند كامو نوع من البيوتوبيا الاجتماعية ليستمع إليه محدود، في 22 كانون الثاني يناير 1957 «من يتبارر بالسكين، أو تقريباً كذلك، فيما العالم يسير بسرعة الطائرة المقاتلة وفي اليوم نفسه الذي تتحدث الجرائر عن صداماتنا الإقليمية، فهي تعلن عن التجمع التدري الأورومي. عدأً وأنا ما توافقنا أوروبا فيما بينها، فإن ثمة موجات من الثروات ستغطي القارة لفيض إلى هناك ما يجعل مشاكل قديمة وأحقاها منتهية»<sup>(89)</sup> هذا ما قاله في الجرائر أمام

جمهور محتلط إن تحليل هذه الخطابات في سياقها التاريخي (خاص ودون الوقوع في الخطأ على ضوء مكتسباتنا الآن، يساعدنا على استعادة ما كان يجري في حينه، لقد كان كامو مدهولاً بتدخل العاطفي في حقل السياسي، ولقد كان آنذاك في طور التطور نحو نوع من اللاأثرية السياسية أما بالنسبة لسارتر الخارج بنوه من رحلة أربعة أعوام رافق الشيوعيين أثناءه، وكان ما زال واقعاً تحت أثر الإيديولوجيا الماركسية، فقد حاول تطبيق ذلك على أحداث الجزائر، كان للرجلان، كل على طريقته بصور، عادة توازنهما السياسي.

سارتر في قاعة «ماعم Wagram»، وكامو في «حديقة التقدم»، كانا رجلين يتابعان مسيرة سياسية موحدة في آن ومناقضة في آن آخر. وتماقصهما في كانون الثاني 1957 كان إشارة إلى تماقصهما الدائم. لقد اقتصرت الصحافة الحدث إن الصداقة، ثم الخصام، كانا أمراً يمكن تتبعه ما بين الكاتبين كانت العلاقة أكثر تعقيداً فهي اثبات قبل 22 عاماً من ذلك. سارتر كان في الثلاثين من عمره، وكان وريث تقليد محبوي فرنسي، مثل تربي بين الكتب، وفي عهد معهد المعلمين العالي، ثم أستاذاً للفلسفة في ليسيه مافر، لقد كان مستاءً من الريف الفرنسي ومن إحقاقه في النشر، يميل إلى الفوضوية والعربة والفردية، وكان ينظر بعين ساهرة إلى استعراضات أحزاب اليسار على احتلالها، ويستمتع إلى آمال الشيوعيين الفرنسيين المأحودين بالتجربة السوفييتية وكله سحرية على ذلك عام 1935 كان كامو عضواً منتسباً إلى الحرب الشيوعي الحرائري، مع احتفاظه بمسافة ما تجاه الإيديولوجية الماركسية، فقد ظل أُميماً لتجاربه مع اللامساواة ومع المؤس الاجتماعي أما تحررته مع الثقافة،

والمسرح والرواية والصحافة، فقد قام باستثمارها معطش حديث النعمة، وهو كان كاتباً عند حداثة سبه أمضى كامو عامين في الحرب الشبوعي ثم ابتعد عن هذه الدائرة حتى حوصه تجربة سياسية جديدة مع المقاومة وهي هذه الأثناء صار من اشتراكيي اليسار، رهيق طريق لسطمة (الخلية الفرنسية من الأهمية العمالية) SFIO بين عامي 1945 و1946 على سبيل المثال

في حين كان كامو حريصاً على التحرك من أجل عايات سياسية معدودة، وفي حين كان يتواجد على سبيل المثال إلى جانب هنري دافيس (Garry Davis) عام 1948 هنس ما كان يعرف بالاشتراكية الأخلاقية، كان سارتر من جابه يحنار اتجاهها معاكساً، فكما نراه وعلى مراحل يتحرك ولعدة أشهر ضمن مجموعة مقاومة صغيرة كان ذلك عام 1941، ثم وبعد أن أحرقت أحيته في هذه الصدمة الأولى، راح يمحرف في مرحلة كتابة فلسفية كبرى، «الوجود والعدم» كان ذلك نتاج هذه المرحلة، ثم «الأخلاق»، ثم سيشهده بعد سبعة أعوام من ذلك يتحرك مجدداً ومن جديد عبر منظور «الطريق الثالث» كان ذلك عام 1948 أثناء عمله مع دافيد روسيه (David Rousset) في (RDR) ثم كان الإحفاق كما إبان الاحتلال، والامتناع عن العيمي، والعزلة من أجل الكتابة الفلسفية التي صارت مديلاً، بل جواباً على الإحفاق في العمل والممارسة جميعها كتب «الأخلاق» لكنه لم يطبع كتابه هذه إلا بعد فترة طويلة، عام 1952 - وخلافاً لتيار معظم الكتاب المثقفين الفرنسيين، مثل سارتر سيقتررب محدداً من الشيوعيين تبعاً لمعطى شخصي، والمعطى أكثر موضوعية أيضاً، سجد سارتر في البروليتاريا الفرنسية العنصر الأكثر عرصة للقمع، ولذا أعلن مساعدته لها وفي هذه الفترة الخامسة حصل

الاختلاف مع كامو. وهي الفترة التي شهدت قصيدة «الحمام الرجل»، وتوقيع جاك ديكلو Jacques Duclos حينها شعر بالحاجة الماسة للاقتراب من الحزب الشيوعي الفرنسي أما كامو فقد اتهم «البورجوازي»، بل إن سارتر لم يتورع عن اتهامه «بالدي»<sup>(90)</sup>

في تقديم كهده، حتى لو كان قوياً فإننا بالكاد نجد في المسار السياسي بعض المقاطع المشتركة، وبعض النقاط التي فرضت ذاتها أو تأثيرها حتى لو كانت دقيقة جداً يشبه الأمر كما لو كانا قد تمسكنا جماً إلى جنب في حقول منجاسة ولكن دون حوار بينهما كما لو كان الواحد منهما يدور حول الآخر، وكل منهما يستغرق في منطق محجوب عن الآخر بل يبدو أن كل شيء لم يكن في وقته ولا في توقيته، ولا في تعاطفها المتبادل ولا في شفقتها العميق وإذا كانا قد مرّا بالافتكار بنفسها، فإن ذلك كان غالب الأحيان على مسافة تقارب 20 سنة أو 25 سنة بينهما. تعلم اجتماعي وسياسي. لقاء الإيديولوجي مع الموضوعي، لكل شيء بينهما فاصل مكاني وزماني بل قد يكون معاكساً، وإذا حاولنا أن نقيم مهماتهما لا من منظور أدبي صرف، بل من منظور اجتماعي سياسي، فإن الإضاءة المقمولة بشكل عادي بينهما، باعتبار أن علاقتهما كانت طلاقاً متقارباً، تصبغ علاقة انفصالية فكل الحدود مشوشة، وإنما لمجد أنفسنا أمام مسارات سياسية تتناقض عذرياً بفعل تعارضهما وأصولهما وعدتهما النظرية. والميثولوجيا - التي ظهرت في 22 و 27 من كانون الثاني يناير 1957 - لم تكن إلا نقاحاً، جوهرًا وبهاية.

لندكر بعد ذلك بأوقات العنطة، بالرسم الصداقة الوردية<sup>91</sup> ذلك أن كامو وبعد ذلك العام 1938 قد امتدح عمر مقالة نشرت في



«Alger Republicain»، رواية سارتر «الغثياري»، ممنسحاً هذه «فلسفة» التي تمرر عبر الصورة، مقارناً كاتبها بكافكا، Kafka، ومدكراً «سأول مداء لدهس مفرد وعظيم»<sup>(91)</sup> ثم إن سارتر بدوره وبعد سموب من ذلك - في عام 1943 - اقترح في «Cahiers du Sud» شرحاً لرواية كامو، «الغريب» «Étranger»، قيل لي إنها لكافكا وقد كتبها همنغواي Hemingway، هذا ما أكدته مزارحاً، وأعترف أنني لم أجد فيها كافكا... وقد احتتم بصيغة مقطرة «رواية قصيرة لأحلاقي...» والذي رعم ما فيها من بعد وجودي المني ومن الروائيين الأميركيين تطل قريبة جداً وهي العمق من قصة نفونثير»<sup>(92)</sup>

لندكر أيضاً بتجربة «الامواب المعلقة»، التي كتبها سارتر بالأساس بكامو - المحرج - ومن أجل كامو - المفسر - ولندكر أيضاً بفريق عمل جريدة «Combat» وقد استدعى كامو سارتر أذاك ليقدّم أولى خطواته في الصحافة وليصبح محققاً صحافياً كبيراً وبالحجسات المشتركة مع ميكاسو Picasso ومع «L'Express» أثناء الاحتلال وبالاعياء وحفلات الرقص لاحقاً مع فرقة «Les Amis» والفريق الأول الذي تشكّل حول مجلة «الأرمنة الحديثة» وقد أوكل إلى كامو «فالتصور تنصادم، وتتراكم، طالما كان هوس العيش هو السائد بعد العام 1945، وطالما كانت مولد كل من هديس الرائد بين عاصفة بعد الحرب فالأدب، والفلسفة، والمسرح، والنقد الأدبي، والصحافة والسياسة والسيما كلها حقول ثقافية استثمر فيها كل من المؤلفين، بشكل صارم وفي اللحظة نفسها وبأدوات متناسقة فالخطرات التي القاهها على العالم كل من روكينشين Roquenton ومرسولت Meursault 1938، ثم تكن نظرات بين أبناء عم نظرات من وراء رجاء، نظرات مغير معروجة بالتفند»

هذا ما تقوم به الأشياء المدمجة: فتنة بفتنة مشتركة هي أعمال كامو الأولى وسارتر الأولى. ثمة صداقه في لقاءاتهما الأولى، السنوات الأولى بين هذين الطالبين للدراسة العاصفة في ذروة نجاح، واللذين اكتشفا معاً الحريات المستعانة بعد الحرب بالطبع. لكن لا شيء من ذلك قد أثر بعمق على مواقفهما السياسية، وعلى قناعاتهما وعلى هندستهما الإيديولوجية الشخصية ثم راح كل في طريقه، وعلى كثرته الخاصة، دون أن يتأثر بالآخر إطلاقاً، ثم كان لهما لقاء مضطرب حملته مناسبة في محاكمة في صالة في باريس في 13 كانون الأول 1948، شارك في الحضور أيضاً كل من أندريه بروتون Andre Breton، ريشارد رايت Richard Wright، كارلو ليفي Carlo Levi، عيديو بيوفاني Guido Piovene إلى جانب سارتر وكامو إلا أن هذا اللقاء الذي أريد له أن يكون «أمسية العقل»، قد ترك الانطباع بإعادة إحياء اجتماعات المثقفين الكبرى لسنوات 1930، إلا أن هذا اللقاء قد ولد ميتاً، والصراعات التحضيرية العنيفة قد جعلت بعض النزعات متعرضة تماماً، إذ كان مارلو - بوتي مدعواً، لكن كامو تدخل ليضع فيتو على ذلك ثم استبعاد مارلو بوتي، لكن الناس انفصلوا عن كل الناس، هذا ما قاله لما من جانبه دافيد روسيه David Rousset، أحد المعظمين لتلك الأمسية، «لقد كان ذلك نهاية إجماع»<sup>(9)</sup> وبعد نهاية هذا الإجماع كان كل من سارتر وكامو وإن جريئاً الموجودين شبه الأحرسيين اللذين لم يكونا هناك حيناً إلى حسب، لا بمقتضى الصدفة التي جمعت آخر تجمعات المثقفين

بعد ذلك التاريخ أصبح مسارهما السياسي متباعداً بشكل واضح وعلى أعين الجميع سارتر سيفوخ في مرحلة من التسارع ومن المحرك الذي يرباد قوه، ومن التدخلات الأكثر

صلاحه أما كامو بدوره قسّم تارجح وسط هذه اللا أدريّة العربية، حيث يتلاشى السياسي لمصلحة الأخلاقي أما سارتر، وكما نعرف، فبعد أن تطعم بالحرب الشيوعي الفرنسي ترك نفسه بحث مجدداً عن الرغبات القديمة العوسوية الحدة التي عرف بها في شبابه لقد أصبح كهلاً مستحيلاً، إذ صار يترقب كل التحركات الاجتماعية السياسية التي كانت قوية أثناء الشباب، وخيانة كل الحقائق العاصية والكراهية لكل الحدود، وبكل عزيمة، لقد كانت هذه حركات برجوازي في حالة عروب، العرج بتمريق العقد المقدس الذي ولد في ظله أما كامو بدوره، مباحثه بلصيفة الأخلاقية بدلاً من سياسات ناعمة، فقد ظل مسجماً مع أصوله الطبقيّة ومن المؤكد أن حرب الجزائر قد ظلت بالنسبة لهما سبب هذا الاعتراق الذي استمر على الدوام بين هاتين الأسطورتين في السياسة، وحلف هاتين الطريقتين في روية التاريخ لا نجد إلا مطلقين شخصيين متناقضين بشكل عيب، ولا نجد إلا مهنتين أدبيتين متعاصمتين، مع تقاربهما، ولا نجد ربما إلا صداقة كبرى بالقصة<sup>(٩٤)</sup>.

## الفصل الرابع عشر

### التفكير في مستقبل الثقافة الغربية

بالترباط الوثيق مع مسألة العالم الثالث تبدو بالنسبة لسارتر مسألة مستقبل الثقافة العربية. هذه المسألة التي تساءل عنها الكاتب منذ العام 1945 مع إلحاح ظل أحداً بالاشتداد في سياريو السلسلة المتلعزة «سارتر خلال قرره» والتي قام بها سارتر بإيعاء من مارسيل جوليان Marcel Jullian 1975، وفي محاولة منه لتأكيد مكانته بالنسبة للأحداث التاريخية في هذا القرن، عاد سارتر إلى مفاصله المبكرة للاستعمار، معلماً أنه ابتداءً من بدايته في الثانية عشرة من عمره، «أحد أكثر الأمور السياسية شغفاً بالنسبة لي في تلك اللحظة [...] إنه شعور أثنائي عفوياً في لاروشيل Rochelle، إذ شاهدت رنوجاً وعرباً وصيبيين يؤخذون من بلادهم للعمل في مصانعنا»<sup>(94)</sup> كذلك كانت قراءات سارتر المبكرة، خاصة قراءته للرسوم المصورة الأميركية، وربعاته القيام بالعفامرات، ومحاولاته الدائنة لقياس الثقافة العربية على ضوء ثقافة أخرى.

لا يمكن التوقف مطولاً حول رحلاته التي قام بها إلى الولايات المتحدة عامي 1945 و1946 لنشرح الهرة الحقيقية التي أحدثها اكتشافه لهذه البلاد، أو لتشير إلى الأثر الذي أحدثته

الاصطهاد العنصري في حدة وعيه السياسي، وفي كل مكان، في الجنوب كان «العزل» ما زال ممارساً - هذا ما أعلمه في إحدى محاضراته بعد العودة - لا يوجد أي مكان عام مجد فيه حتماً من الربو والبيصر والتحول إلى المسارح والطعام والتسليم والمكبات والمسابح إلخ، التي يدخلها البيض، كان مجموعاً على السود ففي سكك الحديد وفي الترامواي لهم مكاتب المفضل فالسود بهم كنائسهم ومدارسهم، أكثر ندرة وأشد فقراً مما لدى البيض وقد يحصل أيضاً أن يعملوا في المصانع في أماكن منعقدة يحرم هؤلاء المحبوزون كلياً من حقوقهم السياسية صحيح أن الفقرة الخامسة عشرة من الدستور قد راعت «أن حق التصويت عند المواطنين في الولايات المتحدة لا يمكن أن ينتقص أو أن يرفض من قبل الولايات المتحدة أو من قبل الدول لسبب يعود إلى (عرق، أو اللون أو ظروف الرق السابقة، لكن ثمة ألف طريقة بالانتفاخ على ذلك»<sup>(٩٦)</sup>.

من الأمور المعاصرة لهذه الاكتشافات ولهذه البلاغات كان إطلاق مجلة «الازمة الحديثة، والمحاورة الشهيرة التي ألفها في تشرين الأول 1945 «الوجودية مذهب إنساني»، حيث أكد فيهم على ضرورة الالتزام بالنسبة للمؤلف «في مواقف» في عصره، وعلى البحث عن مكانة «الأوروبي عام 1945»، إذ جعله في مركز العالم مع القدرة على فهم «كل مشروع حتى مشروع الصيني، والهندي والرسحي»<sup>(٩٧)</sup> إن مكافأة المشهد الثقافي في السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية لم تدرس حتى الآن كما يجب، لكنه بـ«مكافأة» شأن التعامل مع الصندوق الأسود، أن يأخذ فكره عن مفتاح التطور الثقافي وعن الرسالة الأوروبية إنسان هذا النصف الأخير من القرن الماضي فقد لاحظت الصحافنة الأميركية جانيت فلانر حينها في رسالتها في باريس «في نيويورك»، فرنسا في

اليومي، الآن ليست باريس هي التي تحرر بل أوروبا بأكملها، هذا ما كتبت في 24 أيار 1945. من الحكمة أن ننظر إلى باريس وأن نتساءل ماذا بقي من المدينة التي كانت في وقتها العاصمة الثقافية، العاصمة المتعدنة، باريس ليست فرجة، إنها مدينة قلعة، مشاكسة، وعلى الأرجح، إنها تتعافى.

ماذا كان في باريس وصح أولئك الذين وافقوا على تمسك سلسلي إلى هذا الحد؟ لنحاول أن نستمع بطريقة دقيقة إلى هذه اللحظات التي شهدت طرح أكثر من سؤال حول السيطرة الثقافية، فإن شمة ميثولوجيا ظلت على قيد الحياة بالرغم من اهتزازات آليات القاعدة، بل إن سارتر قد تساءل بدوره حول هذه المرحلة الفنية التي سمحت في إطار الممكن الواسع جداً بإعادة اختراع العادات الاجتماعية، كما لو كان ذلك نفساً حاداً لم يكتمل بعد في هذه السوسيولوجيا من الدومان والتخفيف من الأساطير، يمكننا ربما فهم تمثيلات هؤلاء الأوروبيين الذين كانوا ينتظرون أن يكون كل شيء كما كان قبل، بل أحسن، لقد عاشوا حلماً بل إن إمكانات آذاك تحليل هذا الفارق بين التمثيلات الاجتماعية وبين استمرورات الاجتماعية الفعلية.

في حجاب أحر له يعود للعام 1949، يصف سارتر الثقافة بأنها، التآمل بموقف مشترك. «موقف كل البلدان الأوروبية، هو موقف مشترك - هذا ما يؤكد - في إيطاليا، في فرنسا، في البينيلوكس» (Benelux) (\*). في السويد، في الفروج، في ألمانيا، في

(\*) البينوكس (Benelux) هو اتحاد حمركي واقتصادي أنشئ في عهد من دول أوروبا الغربية عام 1944

اليومان وهي النساء، إننا نواجه دائماً للموضوعات نفسها والأخطار نفسها. المسألة الاقتصادية المشتركة أولاً، أي ضرورة إعادة التجهيز، واستحالة التوجه إلى أحريين غير الولايات المتحدة، إنها أيضاً مسألة المومانيين والسويديين. فهي كل مكان هي الكارثة نفسها التي تعاش. روتردام Rotterdam كانت شديدة الاختلاف عن فلورنسا، أما حالياً، فإن فتره هي أحياء الخدمات أو هي روتردام أو هي هافر، فإننا نقع على المنظر نفسه الذي تولد كما لو كان ثمة هندسة إنسانية مشتركة في كل أوروبا. حتى لو كنا يسكن في مدن متاعدة، فإن حضور هذه المدن المهذبة به ثقله وهو يعبر المنظر إننا نعرف ما معنى المدينة المشوهة، وهذه المدينة هي أوروبية.<sup>(98)</sup>

يحق لنا أن نساءل، كيف تحول سارتر، انطلاقاً من فلسفة الإنسان الوحيد وشغفه المتفجر من جديد والذي تميزت به تساؤلاته في سنوات 1930، نحو مريد من الوعي والاهتزاز باتجاه الالتزام السياسي الذي صار نهائياً، فتجربة الحرب وتجربة الولايات المتحدة ستجعله يقطع نهائياً حباله مع ماضيه ليمس ذلك الوقت سيقترح تطوير تمثيلات جديدة وتحقيق مشاريع تصادف مع فاعلين جدد، سواء كان ذلك في إطار الحياة اليومية، أو كمثقف يقدم للأحر إمكانية ضمه إلى مشروعه الثقافي أو الفكري. «إني أرى مقموعين في كل مكان (مستعمرين، بروليناريين، يهود)، وأنا أريد تحريرهم من القمع. إن ما يؤثر في ليس إلا هؤلاء المقموعون، ومن قمعهم أحس نفسي صاعلاً في ذلك. إن حريتهم هي اعتراف بحريتي».<sup>(99)</sup>

هل بإمكاننا مع ذلك أن نقلص سارتر إلى صورة مثقف يحاول أن يفهم كيف يستطيع الغرب أن يفاوض ثقافته مع بلدان

في طريق التطور، إلا يكمن هذا أحد الأبعاد الأساسية في فكر سارتر أن يحاول تمتعاً، أن يلتمّ بالمسألة الأساسية في القرن العشرين، وافتحام العالم الثالث على المسرح العالمي، ووصول عدد معين من البلدان القارّات إلى موقع تاريخاني؟ هذا التحالف الأرمي، والمصالح معقده، هو ما يعود حقيقة واقعة الآن، ولكن ألم يكن سارتر أوم من وضع معلماً لمسألة ترداد حضوراً يوماً بعد يوم؟ إنه الموقف نفسه الذي يعرض نفسه في نظام ما هو ثقافي، وذلك حين حاول أن يفكر في العلاقة بين فرنسا والدول أو القوى القائمة، في العجوات بين الثقافات يقترح سارتر بناءات جديدة، تمثيلات أخرى من خلال توتر دائم. إن الاحتلال قد زاد من لاقتنان الذي مارسه الحياة الأميركية على المثقفين الفرنسيين، بما فيها من عيب وحركة، هذا ما أعلنه عام 1946. دوعما قريب ستظهر في الولايات المتحدة أولى الروايات الفرنسية التي كتبت في ظل الاحتلال. سمعيد إحياء هذه النقضات التي أعزتموها إياها إبدأ نردّها إليكم مهضومة أكثر تفكراً، أقل فاعلية وأقل فحاجة، وقد ناقلمت بوعي مع الدوق الفرنسي. وبسبب هذا التبادل الذي لم يقطع والذي جعل الأمم تعيد اكتشاف ما أنتجته ثم رمته في أمم أخرى، في هذه الكتب العربية ستعيدون ربما اكتشاف الشباب الأرمي في هذا «السر القديم»<sup>(100)</sup>





## الفصل الخامس عشر

### تطوير ثقافة بديلة

سارتر العدمي الذي دافع باستمرار عن شفافية مطلقة والذي يتقدم في الوقت نفسه عبر ديمامية منظمة من طبيعة واستزاع كيف يمكن أن يتأمن، ديمامية الاستزاع هذه عن عائلته، عن محيطه، عن بلده، وعن ثقافته ابتدأت منذ طفولته، وهي ما دفعته لجعل الكتابة في صلب حياته ليهرب من وضعية لأشياء التي تنسجم مع الطفولة. «حقيقتي، واسمي، وسجيتي، كل هذه كانت بأيدي الراشدين، هذا ما نقرأه في «الكلمات»، لقد تعلمت أن أرى نفسي بأعينهم، كنت ولداً، هذا المسخ الذي يتجرب بحسراتهم، سارتر العدمي، الذي وعى بنفسه عصاه وأصفاء نفسه بالظلم المجنون الذي يخلق نفسه بنفسه والذي يتمامي مشروع حياته منذ سن الثامنة مع الكتابة محرراً وحيداً ولامعاً لموقعه العائلي «أن أرسم أشياء حقة بكلمات حقة، تكتب بريشة حقيقية، هذا سيكون الشيطان ما لم أكن أنا أيضاً حقيقياً واحتصاراً، إني أعلم لمرة واحدة وأخيرة بماذا يجب أن أجيب المراقبين الذين يسألون عن نطاقتي»<sup>(102)</sup>

هذه الإرادة بالتحرر من العائلة ومن الموجبات الاجتماعية،

والتي تحدثنا من طرف إلى آخر في أعمال سارتر، يجب أن نقرب من «ممارسة الحرية» لحياة خاصة تكون العائلة فيها مكونة من نوع آخر مركب من أقارب، وطلاب وأصدقاء ومعلمين، من نمثل الحلقة العقرية من الثنائي سارتر - بوهوار هذا الثنائي الأسطوري الذي ومهد العام 1930 قد صار وبالنسبة للعديد من أجيال الطلاب نموذج حياة ثنائي عبر منحاس من الناحية الطبيعية، سجد ما بين 1929 و1980 بجوب المساحات والرمال دون تعب بكبير، موسكو، القاهرة، ريو، نيويورك... إلهما هناك كتب إلى كتف هي كبيرة، رقيقة، متأنقة إلى حد ما، ثابتة إلى حد ما في أنوثتها، بعيدة عن الموضة أما هو، فمضغير، مربع القامة، يلبس ربطة عنق أحياناً، وأكثر الأحيان مسترخ في كنية مستعملة من ضرر كسدي يدهش العلويون لا شيء، لا شيء إطلاقاً يجعله يروي حكايت على طريقة رالدا (Zekla)، وسكوت فينجر جرالدا (Scott Fitzgerald) إن الأمر يعني لنا شيئاً آخر تماماً

إننا نبحث دون أمل عن بديل في حالة عرق، ونحاول دون توفيق أن نحتزع ثنائياً جديداً من رفاق - عاشقين عاشقين رغباً عنهما يقدم لنا سارتر وبوهوار خدماتهما ويعتبران عن تحيلتنا ويصيحان أفعالنا بالنسبة لنا، إلهما يلعبان دور ثنائي الأسطورة اللذين ولما رأيتا الجميلة قد رجعا، بعد كل شيء نجحاً ليس عادياً تواطؤ عاصفي كما هو سياسي، توارى وشرف في الديمومة ونحن نبتني بالبنافس صورة (if:penal) (مركز خيالي) من حينهما المهمة، مخططاتهما السياسية، يتشابهان، يتقاربان، يتحدان كأننا طلاباً أولاً، ثم أساتده، ثم كتاباً محترفين، من المرجوارة الأكثر ابتهاجاً إلى الإغراء الشيوعي ثم إلى الماوية

نصاد محتفظ في اليومنا من عائلة استبدالية، بصور

أطراف حمل، مقابلات، ما يساعدنا على إبراز هذه الصور تفسير بمعنى ما. «سارتر» أريد أن أسألك عن...» نسال بنشاط أكثر طلاوة وحناءاً على ما يظهر، يتمشيان ليجيب على التي بدعوها بـ«الحياة» «بالقدوس»، التصديعات، إنما مراها بكل تأكيد، فكيف يمكن لها أن تهوتا؟ ففي روايتها «L'Invitée» أصدرت دي بوفوار أن تروي حسد امرأة ثم تكن وجيدة. التسويات، إنما يتنبأ بها، وهو يروي كغيبسوف علاقاته بالنساء الأساس/العرصي رغم ما هو عابر وسريع الخطب، فهما قد بينا هذا الرباط بين أح وأحت يرتكبان العجازم، ثنائي لا تعانتي بدون أولاد فهل حاولنا أن نكشف الحجاب، أن ندخل الكواليس، وماذا اكتشفنا؟ واقعاً أكثر تعقيداً، عند رؤية العراسلات المطبوعة حديثاً، والتي حافظت رغم كل شيء على الوفاء، من خلال اختراع نموذج جديد في السلوك العاطفي والإجابة على أزمة العائلة الغربية التقليدية، وهي بالتأكيد باكورة هذه العائلات التي أعيد تشكيلها

وما بين الثنائي الملك والعائلة السارترية، ستتنتظم تبادلات عاطفية، جنسية، مهمة وعالية. ذلك أن بوست (Bosi) سيقوم بتبني «الأبواب المغلقة، للسيما» وأولغا Olga ستلعب دوراً في «الأبواب» ودولورا Dolorès تظمت العدد الخاص من «الأرملة الحديثة» جون الولايات المتحدة. ثم إن مابا Wanda لعبت دور لني Leni في «سجناء التوما» وإيلين Évelyne لعبت دور جوهانا Johanna وميشيل Michelle ترجمت إلى الفرنسية «سيرة غروبي» ما أتاح وضع سبشاريو لـجون هيوسفون John Huston ولـمزمال Lanzmann كنيت رسالة قصية الـ 121، في حين كان سارتر في البرازيل، وأرليت Arlette التي حررت نصوص محكمة روس Russell إلح. مبادلات فعلية، ذلك أن أعضاء «العائلة السارترية»

قد اتحدوا وطبيعة «سدة العالم» من أجل الثنائي المركزي  
فاطلاقاً من بوسـت Bost وأولغا Olga وهاندا Wanda أيضاً عرف  
سارتر وبوهوار حقيقة الأجيال الشابة، تفهماها، إلى درجة يمكننا  
الحديث معها عن شكل حقيقي من «اقتصاد الإنتاج الجماعي».

سارتر المدهش هي مقدمته لكتاب أندريه غورر Andre Gourt  
«الحاش» «Le Traître»، قدّم نفسه عالم أنثروبولوجيا ليصف العائلة  
العربية التقليدية بسحرية متباعدة وبصفات تتمّ عن قوة بادرة  
«يبدو أن ما برآل مجد على هذه الأرض متوحشين حمقى، يرى  
في حديثي الولادة منهم أحداً يتجسّدون شابة ففوق الأولاد  
الرصع يصار إلى تمزيك الأسلحة وعقود الموتى القدامى «كهل  
يبحث حياً [...] مثل هؤلاء الأهليين المتحلفين، سجدهم في جرر  
فيجي، وتاهيتي، وغينيا الجديدة، وهي هيبنا وبأريس وروما، في  
كل مكان مجد فيه بشراً، إما بدعوهم أهلاً فمند وقت طوير قبل  
ولادتنا، وقبل أن يصار إلى الوعي بنا، حدد أجدادنا شخصيتنا  
فقد قالوا عما «هو» مند سنوات طويلة وقبل أن يبدأ بالقول «أنا»  
طالما توجد أول الأمر بصفتنا موضوعات مطلقة، عبر عائلتنا،  
يقوم المجتمع بإعطائنا موقفاً، كياناً، وجملّة أدوار» (20)

سارتر المدهش، الذي أدرك بوصفه مربياً وفي درس  
الأخلاق المفهوم التقليدي عن العائلة، إذا أشار إلى معارضتها  
بالنظرية الفوضوية لنستمتع إلى درسه في الأخلاق التطبيقية كما  
نقمة جار بالادير هي صفح التيسيه كومدورسيه عام 1943  
«المجتمعات تتغير ما يطرح مسائل أخلاقية من أنماط مختلفة  
تتمّ للمجتمعات، وتبعا للمجموعات التي ينتمي الفرد إليها (العائلة،  
الوسيلة، الطبقة، الوطن)». تتكوّن العائلة من أفراد يرتبطون برابطة  
الدم ويتجمعون حول ثنائي أساسه الزواج [ ] هل من الواجب

إرساء عائلة ما هي واحداث المرأة ما هي العلاقة بين الأهل والأولاد؟ هل علينا أن نعتبر العائلة قيمة على المجموعة الاجتماعية تحقيقها؟

«نظرية لابلاي «Théorie Conservatrice de Le Play» المحافظة إن الأسرة هي النسبة الاجتماعية الأولى إنها ظاهرة طبيعية، وهي ظاهرة إلهية بالنسبة للمسيحيين لابلاي يتبع بوبالد (Bonald) وأوغست كومت Auguste Comte، اللذين يعتبران الأسرة بمثابة الحلية الاجتماعية عائلتي هي الحقيقة القصوى، ولا معنى لفرد خارج العائلة. إنها خلق إلهي، قيمة أولى، وعلى الفرد أن يحقق الأسرة، بالنسبة إلى لابلاي لا يمكن تصور أسرة فوضوية يجب أن تسود فيها سيطرة تراثية، والاب هو السلطة الأولى، والأم لا يمكن أن تكون المساوي للاب، إلا في ظل شرط إطاعت على صعيد السلطة. والأولاد بدورهم، يخصصون لسلطة الأب الذي يجسد الأسرة، وإلى سلطة الأم، بوصفها من يحل مكان الأب في حال غيابها وبين الاثنين لا بد من قيام التراتبية، مثل حق الذكر وحقوق الجنس المذكر إنها فكرة مساوية للثورة، تلك التي تقول، إن الفرد ليس شيئاً، إنه تصور توليفي وشمولي حول العائلة، إنها عائلة متديبة ومحافظة، يملك الأب سلطة لا نقاش فيها، لا تدخل للدولة في شؤون الأسرة [ ] .

لمنوية الفوضوية (سترنر Stirner، راكلتي Reclus، جيد Gide) إنها نظرية تشتق من المزرعة التحليلية الموروثة عن الثورة الفرنسية كل حقيقة هي عبارة عن مجموع قابل للتحركة المجتمع عبارة عن جملة أفراد، وثمة رابط وهمي بين الأفراد وحصص الفرد لجماعة يعني إخصاص الواقع للوهمي يحجب القصص على العائلة يجب التمييز بين أمرين التزاوج والأولاد الذين لا يمكن

منعهم إما كإثبات من عقد، فذلك جيد، إلا أنه يجب عدم قيام الإلزام بهذا الزواج، يجب أن يكون عقداً لا علاقة به بإرادة الأفراد إنه الاتحاد الحر [يجب] عدم إيجاب الأطفال إلا بموافقة وإرادة والدة

ولرجال حق في التعقيم. والعلاقات بين الأهل والأولاد [هي نوع] من العقد، مع ترك الحرية للأولاد يجب تربية الولد لأباً رقيباً في إجابته والأولاد ليسوا ملزمين بالاعتراف بالجميل أو بالاحترام (سترن، راكلي). يعرف جيد جداً أن الأسرة عبارة عن كلية، ولكنها بعد مرحلة ما تصبح مضمرة إن في ذلك معاً لكل فردية أخلاقية، ومما أن كل أخلاق هي فردية، فمن ذلك يعتبر معاً لكل أخلاق، إن من يفكر في المجموعة (عادات أو عائلة) هو لا أخلاقي العائلة محافظة بجوهرها، وتنشأ للتحرك في الماضي وتمنع الفرد من أن يتغير [...].

استنتاج العائلة هي تشكّل تاريخي وليس طبيعياً، رابطة الدم التي تبدو أساسية، لم تكن قد تكونت إلا في وقت متأخر بوصفها مؤلفة للأسرة.<sup>(101)</sup>

إننا نرى جيداً كيف تكوّن هذه الثقافة التي صارت عامة في جزء كبير منها عبر إجراء متتابة من مذكرات سيمون دي بوفوار. إن بحث دي بوفوار نوعاً من أسطورة أسرة - مضادة مثالية، وقد تبين قراءة نهاية حياة سارتر أنها كانت أكثر تعقيداً وألماً وصعوبة وتفحراً مما وضعه سيمون دي بوفوار أثناء قيامي بالاستقصاء حاولت أن ألتقي بمختلف أعضاء هذه الأسرة السريرية المصاندة، وأن أستمع لشهادتها وأن أتواصل معها عن قرب. إنني أصف التفاعل مع شاهد معيّن بوصفه تمريناً صعباً ولطيفاً، وهو يختلف عن الوصول إلى الارشادات. ذلك أن الخطوة

الباقيصة مع شاهد هي التي ستقود وبسرعة إلى طريق مسدود لا يمكن تحاشيه تنطوي مقارنة الشهود على مآورات بارعة وعلى استنثار مهم، وحركات تتم عن معرفة بالعبير، لكنها تقتل في الوقت نفسه استقلالية كبرى من أجل الحفاظ على الروح النقدية ثمة لحظات مذهشة عرفتها، منها على سبيل المثال واحدة تلقيت فيها اتصالاً من موقوار «تفاني بسرعة، قالت، لقد وجدت شيئاً يهيك» وعلى خطوة من الباب أعطيت محاضرات سارتر غير المطبوعة، والتي أقيمت في صالة «lyce» في صفر عام 1931 وفي هذه المحفوظات من محاضرات سارتر وجدت كتابات طويلة محببة، وأوراقاً تتحدث كثيراً عن علاقتها بسارتر وفي الواقع فهي كانت، وعلى مدى ساعات وساعات من العمل المتواصل، قد ترجمت لسارتر صفحات كاملة من دوس ياسوس Dos Passos وفولكنر Faulkner، وهو لم يكن يفهم لغيرهما

ومع إرليت إلكام (Arlene Elkam)، طالبة شابة درست الفلسفة، وقد صارت صديقة له حتى أنه قرر أن يتبناها شرعياً في نيسان 1965، كانت العلاقات كثيفة، عنية، معمقة، كما لو كنا نبحث معاً، ونحن اكتشفنا صدوقاً من الوثائق غير المعروفة عن جان - باتيست في «Penguin»، وكنت أهم بوضع عمل فعلي عنه، «تأبني الوسواس، ألم أكر في طريقي لتوسيع تأويل يذهب عكس «الكلمات» لا، أمي، أجابني إرليت، لا تحافني من معارضة سارتر مع جان - باتيست» وكانت أحلى اللحظات عندي ذلك اليوم الذي قررت فيه أن تقرأ عليّ وثائق صحيحة مثل «روية أحلام سارتر»، أو حين أسمعني تسجيلات على أشرطة عن سارتر الموسيقي، وهو يعني أعمية مأساوية مستوحاة من فاوس، كان ذلك في أيار 1968، وكان يكتب كتابه عن فلوير، أو حين بقلب مخطوطه لأوركسترا «Stabat Mater de Pergolesi»، أو



حين يصاحب على القيثارة أرليت على البيانو هي كتابة كوسرتنو  
على القيثارة والاوركسترا لمورار Mozart

وكيف لا يتوقف أيضاً عند الشهادات المؤلمة شهادة  
دولوريز فاببي Dolores Vanetti، صديقة سارتر النيو يوركية في  
مجده، وهي التي «أعطته أميركاه كما كان يقول، السيد الذي كان  
يحلم باكتشافه في طفولته وعمره ٢٠ وكيف لا تصدم بذكرياتها،  
وهي التي، وبعد أن انقطع سارتر عن حبها، قد رفضت كل  
«تسوية» عرضها عليها (مال، منزل، لقاءات، مناسبات)، متهمية من  
قدر «مهور» يدور حول «الشأن الملكي» وكيف لا تعجب أو  
تدهش من منزلها، المنزل الذي التقت فيه سارتر أعوام 1945  
و1946 مع مجموعته من الأقنعة من المحيط الهادئ الجنوبي أو  
كنور أخرى كانت ملكاً لمارسيل ديشومب Marcel Duchamp،  
وأندرية بروتون Andre Breton ولكلود ليفي ستروس  
Claude Levi Strauss أيضاً، وهي كانت من المقررين إليه»

إذا جاز لنا أن معتبر صدفة أن يكون سارتر قد نظر إلى  
العالم بأعين النساء، وإذا ما تذكرنا علاقته بأمه أن «ماري، وإذا  
ما اعتبرنا صياغاته الجميلة حول انجذابه لجمال النساء، الجمال  
الذي كان يحلم بالحصول عليه حين يكون قريباً منهن وإذا ما  
استبعد هذه العمارة من يومياته حول الحرب، «أفضل الحديث مع  
امرأة حول أشياء صغيرة جداً من الحديث بالفلسفة مع أرون  
Aron، ولا محال بالطبع للاقتناع بذلك لكن النساء قد لعبن أيضاً  
دوراً آخر في اكتشافه للعالم ذلك أن دولوريز فاببي بالنسبة  
للبلايات المتحدة هي مثل لينا زومينا Lena Zorina بالنسبة  
للاتحاد السوفياتي، ومثل كريستينا Cristina بالنسبة لبلجيكا،  
ومثل توميكو أراموكي Tomiko Asahuki بالنسبة لليابان، أو هيلين

لاسيوتاكي Héléne Lassiothakis بالنسبة لليونان، هي واحدة من هؤلاء «السوة» اللذان، اللواتي اتحن لساوتر الإطلاع على ثقافة عربية.

مع صدور «La Cérémonie des Adieux» عام 1981 فتحت سيمون دي بوهوار الملفات حول الصراعات الداخلية في العائلة السارترية المصادرة. عائلة مصادرة كانت أحياناً نموذجاً للبعض، لما نطلق عليه بعد ذلك اسم «العائلة المكفأة» لكنها العائلة التي حوت أيضاً، وكما يرى، انهياراتها الخاصة.



## خاتمة

ربما أتاحت لنا العودة إلى أكثر كتب سارتر جدلاً أن يشرح العلاقات الصعبة بشكل خاص، والتي أقامها مع مثقفي بلده، ولابتعاد عن لاستقبال السارترى بين فرنسا والخارج المسألة التي أثرتها في بداية هذا العمل. فإذا ما استندنا إلى نصين مثل «تأملات في المسألة اليهودية» و«أورفيه الأسود» وإلى مقدمة «المعذبون في الأرض» لفرانس فانون Franz Fanon، أو إلى «Portrait d'un Colonisé» لآلبرت سامي Albert Memmi، وإلى «Mort Sans Sepulture» أو «Les Grenouilles Qui Demandent un Roi» أو إلى نصوص صحفية أخرى تعود إلى فترة حرب الجزائر، لوجدنا أن سارتر قد واجه الأحداث التاريخية التي لا علاقة خاصة بتاريخ فرنسا وبتقاليدها وصدوماتها مثل مسألة التشترك، ومسألة الاستعمار، ومسألة التعذيب ومسألة العصيان أو التمرد ثم لحظات الأيمة في الذاكرة الجمعية الفرنسية، وجدت البلاد صعوبة في تجاوزها إذ ظلت لمدة طويلة دون حل، وظلت أيضاً خاضعة لعمل الرقص، أو هي اعتبرت مسائل يصعب علينا نحن حلها فهي مسائل عولجت في الخارج وقد عادت إلينا بطريقة تحمل على الضيق، وبعد عقود من ذلك، لتعذب ضمائرنا هذه الشبهة الفرنسية تجاه سارتر، ألا تأتي من كونه. وقد استعاد تقليداً فرنسياً عميقاً، قد طبقها على محرمات تاريخية هي الذاكرة الوطنية وسط تغير هي الاتجاه لا يُعترف والذي يبدو كما لو كان حياة»

في مقاله حملت عنوان «العربية والامتنالية في الولايات المتحدة»<sup>64</sup>، يقترح سارتر تحليلاً للعرد والدولة مقارباً بين الولايات المتحدة وفرنسا، وهو يقول بأن الرابط بين «الامتنالية الاجتماعية» و«العربية» في فرنسا هو ما يحد الفرنسي صغوة في فهمه عن فرنسا بالنسبة لما احتفظت العربية بالشكل الكلاسيكي القديم الذي يقوم على «صراع العرد ضد المجتمع وضد الدولة بشكل خاص» إن الأمر مختلف في أميركا قد يعطيا هذا النص معناه لفهم الشبهة التي أثارها وصعوبة سارتر في بلده، (إن من جانب المواطن تجاه الدولة، والإنسان الوحيد تجاه المؤسسات، والمبوزيين تجاه الأعياء).

ثمة موضوع آخر على علاقة بهذه الشبهة، يقتبسه من خطابه التي تترايط وتدور حول المطالبة واستيراد نظام معايير خارجية ليست على علاقة بتقليده الخاص. من الولايات المتحدة استعار عُدة «حدثاوية» جاز، سينما، رواية أميركية، باسم المستقبل، ومن ألمانيا استعار عُدة الفينومينولوجيا التي أتاحت له التفكير في اليومي بمفولات أقل صلالة مما نجده في الفكر الفرنسي.

وبعضل هذه الأدوات فقط، والمستعارة من حراج الفمائج الفرنسية، استطاع سارتر أن يصنع نظامه الخاص وأر يبنى نهجه وإذا كان قد ترك التدريس فلكي يعمل في مجال السيناريو عند باثي (Pathe)، ولكي يقلب مراولة الفلسفة من خلال إدخال نماذج موروثة من اليومي، عبر تصالب وتداخل بين الفكر الأكاديمي والأمثلة المبتدلة بعد فشل مهمته بصفته كاتب سيناريو، ابتداء تنظيم إنتاج فكري متعدد الاتجاهات ومتعدد القوميات، يتراوح بين الشعبي - الأعياء، المسرح، الرواية، الصحافة - إلى ما هو عالمي

جداً - الفلسفة - ، ومعا هو فرثسي تقليدي جداً - المثقف الملتزم  
- إلى ما هو خارجي جداً - الأسود، واليهود - مع ناملات في  
العسالة اليهودية، وأورفي الأسود في أعوام 1946 و1947 هذا إلى  
جانب مقد فقايدة القرن التاسع عشر - مع بولير، مالارمي،  
وعلومير، وكل إرث جده شفايتزر، ولاسون Lanson، ومع تجدر  
في التقيد الفرسي في القرن الثامن عشر، ونماذج المثقف الكوي  
على طريقة فولتير، وعلى طريقة نيدر، إن سارتر قد خلط بقاد  
الاستدلال التريحية وخرج على كل تصنيف.

إن تشكيكات سارتر المنظمة قد جعلت منه شخصية يصعب  
تصنيفها في المقولات الفرسية التقليدية، مع أنه يحتفظ بوضع  
هامشي في مجتمع تنق في الأولوية للمؤسسات الصلبة والدائمة  
والمشرعية المؤسساتية كما أن نصوصه العيفة تجاه أسرته  
وتجاه جده شفايتزر هي نصوص تحمل على الغيظ، أما اهتمامه  
بالكنائس في حركيتها والمجموعات في صيرورتها فذلك ما  
يحمل على الدهشة كذلك بختيارنا رفضه لكل أشكال التكريم، وكل  
العقائد تقريباً. كذلك تصلنا مواقفه الراضة للمسكور، وخياناته  
وتغيير اتجاهاته، وتناقضاته وميله. حتى لو استعاد تراثاً معروفاً  
من الفرسيين، ويقوم على الخمر، حتى لو تواجد في كل  
المواضع - المعانيخ في القرن العشرين، وقد صار فيها شخصية  
أسطورية، فإننا لا نغفر له انتعاداته عن ذلك فيما بعد، إن سارتر  
قد خرج على مقولات العهم التقليدية وهو في العلم، لكنه خارج  
المؤسسة، أي أنه فوق الكوليج دي فرانس. إنه يملك المشروعية  
الأكبر، لكنه يتحاور كل إطار فكيف يغفر له ذلك؟ سارتر، أو  
موصوع كل الشكوك. نذكر بتصنيفه إلى لاسون (Lanson)  
وديجول، وفي الولايات المتحدة تصديه لكل المحرمات التي تجعل  
منه مواطناً مخالفاً، مواطناً يبحث عن الريادة.

ومع ذلك فإنا اعتقد من جهتي. وكما أوضح يقولون  
 عريصالدي Nicolas Grimaldi عن سقراط<sup>(105)</sup>، أن سارتر كل  
 نموذجاً وممارسة قبل أن يكون عقيدة أو أثراً وأنه يجمع بين  
 هولتير وهيفو وزولا وسقراط في آن واحد، بتواضعه وتجرده  
 وسفله الثقافي والإساءة للمطرد للمثقف في وعظيته البقعة  
 الاجتماعية والسياسية وفي سلطته المسحورية، بدأ سارتر وكأنه  
 الأخير في عصره.

لقد عرف كيف يربط معارف متجربة، انطلاقاً من علمه  
 الكلي، كما عرف أن يخلق شروط الإمكانيّة حتى يستطيع كل مبدع  
 اجتماعي التفكير في علاقة السلطة بطريقة مقدّمة ثم إنه حاول  
 أخيراً - هنا يكمن مشروعه - أن يعطي الآخر الوسائل التي تشرع  
 مشروعه الخاص، فلم يطالب انطلاقاً من علمه ومعرفته بآية  
 سلطة ولا آية رخصة ولا آية ترانسية لذلك لا يجب البحث عن  
 حقيقته في سارتر وحيد، ولا في نص واحد من نصوصه، بل في  
 تتبع أبحاثه الطويلة، الشبيهة بما وضعه مالا ريميه، أي في الأبحاث  
 المنشورة، وغير المكتملة أيضاً والمفتوحة على القراء، والتي قد  
 ترجع البعض، وقد تكون خلاصية لبعضهم الآخر، وس أكثر من  
 أي وقت مضى، إنها بوصلة أخلاقية

## الهوامش

- ( ١ ) (البنو - ١٩٣٩) - ادب (١٩٤٠) Carnet de la Drôle de Guerre ، عالمدر ١٩٩٥ ، ص ٤٨٧ .
- (٢) المرجع السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧
- (٣) Situations IX ، عالمدر ١٩٧٢ ، ص ٩ - ١١
- (٤) Situations X ، عالمدر ١٩٧٦ ، ص ٩١
- (٥) Situations IX ، ص ١١٣
- (٦) المرجع السابق، ص ١١٦ - ١١٧
- (٧) Les Mots ، عالمدر ١٩٦٣ .
- (٨) S. de Beauvoir, La Cereimnie des Adieux, suivi des entretiens avec J P Sartre - آبول ١٩٧٤ عالمدر ١٩٨١ ، ص ٣٥٣
- (٩) Situations X ، ص ١٣٣ - ١٣٤
- (١٠) المرجع السابق، ص ١١٣ .
- ( ١ ) المرجع السابق، ص ١١٤ .
- (١٢) Situations X ، ص ١٥٥
- (١٣) المرجع السابق، ص ١٥٥
- (١٤) Lettres a Castor et à Quelques Autres T ١ ، عالمدر ١٩٨٣
- (١٥) Presentation des Temps Modernes, Situations II ، عالمدر ١٩٤٨ ، ص ١٢ - ١٣ .
- (١٦) المرجع السابق، ص ١٣
- (١٧) Merleau-Ponty Vivant, Situations IV ، عالمدر ١٩٦٤ ص ٢٥٦



- (18) L'Être et le Néant Essai d'Ontologie Phenomenologique  
عائيمار 1943، ص 311 - 312
- (19) La Nausee، عائيمار 1938، ص 91
- (20) F. J. Weber La Fin des Terroirs: La Modernisation de la France Rurale 1870 - 1914, Fayard 1983. 34
- (21) أرشيف مي كوهين - سولال عن أرشيف مدام Lannes في بريغي وهي مقود على لأرجح لعدم 1913، حصه موريج بركة الحد - الذكر بيمرد سارتر
- (22) نقلا عن لأرشيف الحمار إليه في الهامش لسو - باريس، 22 كانون الثاني 1896
- (23) مترجم إلى العربية La Fin des Terroirs
- (24) هي الكتاب سارتر - يصف كل من ميحد كوه - وميحد ريبانك المبال بالقول به "استعد في الحامد" عائيمار 1970، ص 22
- (25) NRF عدد 35 - 1939 ص 212 - 212 وقد صدر لاحق في Situations I عائيمار 1947
- (26) Carnets، ص 231، 232
- (27) Questions de Methode، عائيمار 1960، ص 22
- (28) D. Lindenberg et P.A. Meyer, Lucien Herr Le Socialisme et Son Destin, Calmann - Levy 1977
- (29) Simone de Beauvoir la Ceremonie des Adieux وهذه المفكرة نشرت على الصفحات من 220 إلى 250
- (30) Question de Methode ص 22
- (31) سياريو غير مشهور، سارتر في "الفرق" أرشف اي كوهين - سولال
- (32) نكتب هذه المفكرة في مثل C. Diguet، في La Crise Allemande de la Pensée Française (1870 - 1914) PLF 1959 ولكن كان لا بد من الاستطراد حتى 1939 - 1941 إلى أن سرحم حدد ببوتيت فيومرولوجيا الروح ليهل

- (33) يحب في هذا الإطار تحديد مفهوم «الحيل الشعاعية» الذي استخدمه Jean - François Sarrinelli. Khagnew et Normaliens Dans l'Entre Deux Guerres, Fayard 1988. Deux Intellectuels dans le Siecle, Sartre et Aron, Fayard 1995
- (34) D. Lindenberg et P A Meyer, Lucien Herr ص 269
- (35) المرجع السابق، ص 269 - 270
- (36) A Compagnon, La III Republique des Lettres, De Flaubert à Proust, le Seuil 1983, P 95.
- (37) المرجع السابق، 112.
- (38) المرجع السابق، 113.
- (39) Apologie Pour le Cinema, Defense et Illustration d'un Art International، كتاب الشاب، عالمبار 1990، 388، 404.
- (40) L'Imagination PLP 1936، ص 201 - 202
- (41) الروائيون الأميركيون بأعين المرسيير، Atlantic - Monthly vol. 178، n2. Août 1946
- (42) فكرة أساسية في فينومينولوجيا هومرل، المائمه، NRF N 304، 1939، 31 - 129 P وقد نشر المقال لاحقاً في Situations I عالمبار 947
- (43) رساله مؤرخه في 28 تشرين الأول / أكتوبر 1945
- (44) أني كوهين - سولال، سارتر والولايات المتحدة، وظيفته معامرات في أميرى، كمالوغ سارتر في BNF عالمبار و BNF لدر 2003
- (45) سيرمون دني بوهولر Ceremonie، ص 332
- (46) Situations VIII عالمبار 1972، ص 191
- (47) أرشيف تي كوهين - سولال
- (48) Situations IX 130 - 131
- (49) Situations VIII، 184 - 186.
- (50) المرجع السابق، 188 - 190

- (51) المرجع السابق، 187
- (52) سيمون دي بوفوار - Cèremonie، ص 570
- (53) العتيق، ص 122
- (54) Apologie pour le Cinema, 398 - 404.
- (55) الكلمات مرجع سابق، ص 98 - 104
- (56) المرجع السابق، 104.
- (57) كتابات الشاب، ص 388
- (58) المرجع السابق، 389
- (59) المرجع السابق، 391
- (60) المرجع السابق، 402 - 404
- (61) بيوروتا، مدينة سيمارو، في Situations III عالمنا 199 ص 122 - 123
- (62) محاضرة غير منشورة في جامعة I.yre في عابو، أرشيف آبي كوهين - سولال
- (63) المرجع السابق
- (64) Situations I عالمنا 1947، ص 14 - 24
- (65) G Heller Un Allemand a Paris, Le Seuil 1981
- (66) G Loiseau La Littérature de la Défaite et de la Collaboration, Publication de la Sorbonne 1984
- (67) شهادة دوميت وحيان بوسان - ديرني، أرشيف، سولال
- (68) راجع سولال سارتر 1905 - 1970، عالمنا 1985، ص 345 - 348
- (69) باريس تحت الاحتلال، Situations III، عالمنا 1949، ص 11
- (70) أرشيف آبي كوهين - سولال
- (71) I Gaister Sartre Vichy et les Intellectuels, l'Harmaton 2001
- وأخوه حاك جكارم الرائحة في Sartre et la Question Antisemite
- وكذلك أخوه جوليان سيمون، Sartre et la Question de
- l'historicité Reflexion au delà d'un Procès, in les Temps modernes 609 (2000) et 613 (2001)
- وعدا ما دأب على البحث في نظري
- أمام المعاش الفلسفي والتاريخي

- (72) L'Humanité 17 Avril (1980).
- (73) Aden Arabie, de Paul Nizan Maspero 1960 مقدمة
- (74) M Thorez, les Traîtres au Pilori dans The Communist international N3 - 170 - 178
- (75) C Morgan, Les Don Quichote et les Autres Guy Roblot ed, 1979 P 140
- (76) R Garaudy, «Un Faux Prophète» Lettres Française. 28 decembre 1945.
- (77) J Kanapa, L'Existentialisme n'est pas un Humanisme ed Sociales 1947
- (78) G Leclerc «Monsieur Sartre a les Mains Sales». l'Humanité 7 Avril 1948
- (79) لأرمب الحديث، سمور/بوليو 1952، وشريس الأرب/أكتوبر وشريس الثاني/نوفمبر 1952.
- (80) المرجع السابق
- (81) Le Fantôme de Staano، نشرت في الأرمب الحديث 956، ثم 1957 واعيد نشرها في Situations VII عايلمار 1965
- (82) بعد يوداست، سارو، يتكلم، مجلة الأكروس، 9 شريس الثاني/نوفمبر 1956
- (83) P Bourdieu, Sartre, l'invention de l'Intellectuel Total, Liberation, 31 Mars 1983.
- (84) M Merleau - Ponty, les Aventures de la Dialectique. Gallimard, 1955 - P 295
- (85) شهادة دوان ديماس، لقاء مع أبي كوهير، مولال في 15 شريس لأرب/أكتوبر 1984
- (86) S. Beauvoir, La Force des Choses. I Gallimard 1963. P 284.

- (87) A. Camus, Essais, Gallimard, «Bibliothèque de la Pléiade n. 1977, P 998.
- (88) Situations V Gallimard 1964, P 42.
- (89) كامو المرجع السابق، ص 999
- (90) حوار على أنثر كامو، ص 92 Situations IV 1964
- (91) كامو المرجع السابق، ص 1417 - 1419
- (92) Situations I, Gallimard 1947 P 104 - 112.
- (93) لقاء مع أني كوهين - سولال في 8 أيلول/سبتمبر 1982
- (94) نقطة انطلاق هذا الفصل من «كامو والسياسة» إشراف جون إف هيرين L'Harmattan 1986, Guerin
- (95) سبازيو غير مشور - «سارتر في المعصرة» أرشفة سولال
- (96) عودة إلى الولايات المتحدة «هذا ما تعلمه عن مالك السود» الفيدرالية الأدبية، 16 حزيران/يونيو 1945
- (97) الوجودية مدعج إسائي Nagel 1946
- (98) ادع عن اشغاف الفرنسية من خلال الثقافة الأوروبية، محاضرة ألقى بتاريخ 24 نيسان/أبريل 1949، في مركز الدراسات السياسية التحليلية في باريس ونشر في Politique Etrangere، حزيران/يونيو 1949، ص 233 - 248 وقد تمت الاسعاف بها حربا من قبل ميشال كوث وميشال ريبالك في «Les Ecrits de Sartre» غاليلار 1970
- (99) Cahier pour une Morale, Gallimard 1983, P 89.
- (100) خطاب غير مشور ألقى في جامعة يال، كانون الثاني/يناير 1946 أرشفة سولال
- (101) Les Mots، مرجع مذكور
- (102) Situations IV Gallimard 1964، ص 54 - 55
- (103) حوشي محذرات جان مالادير (أرشفة سولال)
- (104) Situations III, 1949, P 84.
- (105) N. Grimaud, Socrate Le Sorcier PUF, 2004

## معالم بيوغرافية

1905 - 21 حزيران مولد جان بول سارتر في باريس، اسماً لجان - باتيست سارتر، خريج هندسة من البوليتكنيك، ضابط في البحرية، ولأن - ماري شفايتزر، ابنة شارل شفايتزر، استاذ مجاز بالالعانية.

1906 - 21 أيلول وفاة جان - باتيست سارتر، في تبعية (دوروني).

1915 - دخول سارتر إلى ليسيه هنري الرابع.

1916 - لقاءه مع بول ميران.

1917 - تتزوج امه مجدداً من حوريف ماسي، ودخوله مدرسة الصبيان في لاروشيل.

1920 - عودة إلى ليسيه هنري الرابع تلميذاً داخلياً

1922 - 1924 - تحضير لمباراة الدخول إلى معهد المعلمين العتي، في ليسيه Louis le Grand.

1924 - دخول معهد المعلمين العالي، ومن رفاقه بول ميران، وريمون لرون

1924 - 1928 سنواته في معهد المعلمين العالي ومن كتاباته Une Défaite, Et l'Arménien

1928 - رسوبه في التأهل لتدريس الفلسفة

1929 - لقاءه مع سيمون دي بوفوار («Castor» Le). وقد  
قبل في التأهل لتدريس الفلسفة وكان أولاً وسيمون دي بوفوار  
حلت ثانياً.

1929 - 1931 - جدياً في الرسم الجوي من الدرجة الثانية

1931 - مدرساً للفلسفة في ليميه عرسوا الأول في هامر

1933 - 1934 - في المعهد الفرنسي في برلين اكتشاف  
هيدومبولوجيا هوسرل.

1938 - نشر كتابه «العثيان»

1939 - نشر «الجدارة» ومقدمة في نظرية العواطف»

1940 - يسكن في ألمانيا، وصنور «الخيالي»

1941 - يتحرر من معسكر الاعتقال، تأسيس «اشتراكية  
وحرية»

1943 - ظهور «الدياب» و«الوجود والعدم»، لقاء سارتر  
والنير كامو.

1944 - ظهور «الأبواب المغلقة» - تحقيقات عن تحرير باريس  
لجريدة «Combat».

1945 - صدور «طرق الحرية» (الجزء الأول والثاني)  
وأول رحلة له إلى الولايات المتحدة. صدور «Le Sursis» و«I. Age  
de Raison» وفي تشرين الأول/أكتوبر صدور أول عدد من مجلة  
«الأربعة الحديثة»

- 1946 - أول خصام له مع كامو، صدور «الوحدانية مذهب إنساني» و«موتى بلا قبور» و«تأملات في المسألة اليهودية».
- 1948 - يلتحق بـ RDR، صدور «الأيدي القدرة».
- 1949 - صدور «الموت في الروح» طرق الحرية الجرة الثالث.
- 1951 - صدور «الشيطان والإله الطبيب».
- 1952 - نشاط سياسي مكثف، رحلة طريق مع الحزب الشيوعي الفرنسي، صدور «سأى جيبه» الكوميدي والشهيد».
- 1953 - صدور «Keen» وصدور «قضية هنري مارتن».
- 1955 - صدور Nekrasov، رحلة إلى الصين مع سيمون دي بوفوار.
- 1956 - إدارة للتدخل السوفياتي في المجر.
- 1957 - اعتراض على التهذيب في الجزائر.
- 1959 - صدور «مسجونو القربا».
- 1960 - رحلة إلى كوبا، بيوعسلاويا، البرازيل، ولقاء مع فبديل كاسترو، تشي عيفارا، تيتو، توقيع «بيان آل 121» وإقامة دعوى «شبكة Janson».
- 1961 - مقدمة لكتاب «رأى قانون» «معدن الأرض».
- 1963 - صدور «الكلمات».
- 1964 - سارتر يرقص جائزة نوبل للآداب.



- 1966 - سارتر يصبح عضواً في «محكمة روسل» التي أدانت جرائم الحرب الأميركية في فينام.
- 1967 - رحلة إلى مصر ثم إلى إسرائيل. مقدمة لعدد الحاضر من «الأرملة الحديثة» حول الصراع العربي الإسرائيلي.
- 1968 - ماضية الحركة الطلابية بداية تحريره لكتاب عن فلوير إداته تدخل قوات حلف غرغوغيا في تشيكوسلوفاكيا.
- 1970 - بأحد الانجاء نحو «قضية الشعب» ويتوجه إلى عمال معمل رينو في بيلوكورت.
- 1971 - تأسيس الوكالة الصحفية Liberation، وظهور الجزءين الأول والثاني عن فلوير بعنوان «أبله العائلة».
- 1973 - ظهور العدد الأول من Liberation.
- 1974 - صدور «لما الحق سالثورة» (مع ب. عامي، وبيار فيكتور)، رواية إلى أندريا باير المسجون في شتوتغارت.
- 1975 - التحلي عن مشروع مث تاريخي على القصة الثانية بسبب عدم الاتفاق مع المحطة التلفزيونية.
- 1976 - ظهور فيلم «سارتر بنفسه» (الكسندر أستروك، وميشال كونا).
- 1979 - سارتر يدعم مع ريمون أرون لجنة «مركب من أحسن غيتام».
- 1980 - 15 نيسان، وفاة سارتر في مستشفى بروسية وقد مشى في جدارته أكثر من 50,000 شخص.

## بیبلیوگرافیا

### ŒUVRES DE SARTRE

- L'Imagination*, PUF, 1936.  
*La Transcendence de l'ego*, Vrin, 1937.  
*Le Nausé*, Gallimard, 1938.  
*Le Mur*, Gallimard, 1939.  
*Esquisse d'une théorie des émotions*, Hermann, 1939.  
*L'Imaginaire*, *Psychologie phénoménologique de l'imagination*, Gallimard, 1940.  
*L'Être et le Néant*, *Essai d'ontologie phénoménologique*, Gallimard, 1943.  
*Les Mouches*, Gallimard, 1943.  
*Huis clos*, Gallimard, 1944.  
*L'Âge de raison* (*Les Chemins de la liberté* I), Gallimard, 1945.  
*Le Sursis* (*Les Chemins de la liberté* II), Gallimard, 1945.  
*L'Existentialisme est un humanisme*, Nagel, 1946.  
*Muri sans repulsivité*, Gallimard, 1946.  
*Le Putain respectueux*, Gallimard, 1946.  
*Réflexion sur la question juive*, Gallimard, 1946.  
*Baudelaire*, Gallimard, 1947.  
*Situations I*, Gallimard, 1947.  
*Les Jeux sont faits*, Nagel, 1947.  
*Les Mots sales*, Gallimard, 1948.  
*L'Engrenage*, Nagel, 1948.  
*Situations II*, Gallimard, 1948.  
*La Mort dans l'âme*, *Les Chemins de la liberté* III, Gallimard, 1949.  
*Situations III*, Gallimard, 1949.  
*Entretiens sur la politique* avec la collaboration de Gérard R. vanthel et de David Rousset, Gallimard, 1949.  
*Le Diable et le Bon Dieu*, Gallimard, 1951.  
*Saint Genet, comédien et martyr*, Gallimard, 1952.  
*L'Affaire Henri Murin*, Gallimard, 1951.  
*Reun*, Gallimard, 1954.  
*Nekrassov*, Gallimard, 1955.  
*Les Séquestrés d'Altona*, Gallimard, 1959.  
*Critique de la raison dialectique* précédé de *Questions de méthode*, Gallimard, 1960.  
*Les Mots*, Gallimard, 1961.  
*Qu'est-ce que la littérature?*, Gallimard, 1964 (paru pour la première fois dans *Situations IV*).  
*Situations IV*, Gallimard, 1964.  
*Situations V*, Gallimard, 1964.  
*Situations VI*, Gallimard, 1964.  
*Les Troyennes*, Gallimard, 1965.  
*Situations VII*, Gallimard, 1965.  
*L'Idiot de la famille*, I, Gallimard, 1971.  
*Plaidoyer pour les intellectuels*, Gallimard, 1972.

- Situations I/II* Gallimard, 1972  
*Situations IX* Gallimard, 1972  
*L'Idiot de la famille. II*, Gallimard, 1972  
*Un théâtre de situations*, Gallimard, 1973.  
*On a raison de se révolter* avec Philippe Gavi et Pierre Victor, Gallimard, 1974  
*Situations X*, Gallimard, 1976.

#### PUBLICATIONS POSTHUMES

- Œuvres romanesques*, édition établie par Michel Comtet, Michel Rybalkin, avec la collaboration de Catherine Idi et George H. Bauer, Gallimard, « Bibliothèque de la Pléiade », 1981  
*Carnets de la drôle de guerre*, septembre 1939 - mars 1940, Gallimard, 1981  
*Cultes pour une morale*, Gallimard, 1983  
*Lettres au Castro et à quelques autres* t. I et II, Gallimard, 1983  
*Le séminaire Freud*, préface de J. B. Pontalis, Gallimard, 1984  
*Critique de la raison dialectique* t. II, Gallimard, 1984  
*Mallarmé, le lucidité et sa face d'ombre*, Gallimard, 1986  
*Vérité et existence*, édition d'Arlette Elkann-Sartre, Gallimard, 1989  
*Œuvre de jeunesse*, édition de Michel Comtet et de Michel Rybalkin, avec la collaboration de Michel Suard, Gallimard, 1990  
*La Route Athénienne ou le dernier voyage*, Fragments, édition d'Arlette Elkann-Sartre, Gallimard, 1991  
*Théâtre complet*, sous la direction de Michel Comtet, Gallimard - Bibliothèque de la Pléiade, 2004

#### REMERCIEMENTS SARTRIENNES

Pendant 1982-1979, à la suite du colloque « Sartre » à l'école la Halle en ne sous l'impulsion de Catherine Idi de Michel Comtet et de Michel Rybalkin, le Groupe d'études sartriennes. Depuis cette époque, tous les ans, autour de l'anniversaire de Sartre le 21 juin, le groupe se réunit à la Sorbonne pour deux journées de travaux. De nombreux universitaires étrangers se joignent aux débats et on publie à haute renommée également publiée à cette occasion fait le recensement de toutes les occurrences sartriennes en France et dans le monde. De nombreuses sociétés sartriennes (État, France, Grande Bretagne, Belgique, Israël, Italie, Japon, Allemagne etc.) fournissent aux spécialistes de Sartre de développer leurs recherches et d'échanger leurs travaux de manière régulière. De nombreux sites internet sont dédiés à Sartre. Le plus important, [www.jhsartre.org](http://www.jhsartre.org), recense toutes les publications et tous les événements sartriens de par le monde.

#### BIBLIOGRAPHIES

- Comtet Michel et Rybalkin Michel, *Les Œuvres de Sartre*, Gallimard, 1970. Bibliographie Sartre 1948-1983 Editions 1980-1992 et Philosophie Documentaire Center, Bowling Green State University, 1991 (complète depuis par J. Anne Sartre)
- Lapointe François M. *Jean-Paul Sartre and his Critics: An International Bibliography 1939-1974*, Philosophy Documentation Center, Bowling Green State University, 1975
- Wicks Robert, *Jean Paul Sartre: A Bibliography of International Criticism*, University of Alberta Press, 1975

# BIOGRAPHIES ET ÉTUDES

- Cohen-Solal Anne. *Sartre 1905-1980* Gallimard, 1985 « Lolo » 999  
*Sartre*, Gallimard, « Album Plume » 1991 *Sartre, un penseur pour le*  
*XX<sup>e</sup> siècle* Gallimard, « Découvertes » 2005
- Coutat Michel. *Passion Sartre l'invention de la liberté* Textuel, 2005
- Coorebyter Vincent de. *Sartre face à la phénoménologie* Bruylant, Chêne  
 2000
- George François. *Deux études sur Sartre*, C. Bourgeois, 1976
- Jeanson François. *Un grand homme Sartre* Le Seuil, 1966 *Sartre par lui-*  
*même* Le Seuil, 1955
- Lévy Benny. *Le Nom de l'homme Dialogue avec Sartre*, Verdier, 1984
- Levy Bernard-Henri. *Le siècle de Sartre* Grasset, 2000 1118 2002
- Lubet Jean-François. *Jean-Paul Sartre* Hachette 1993
- Peyre Henri. *Jean-Paul Sartre* New York, Columbia University Press, 1966
- Philippe Gilles et Nouzeinana François. *Dictionnaire Sartre*, Honoré L'ham-  
 pion, 2004.
- Renaut Alain. *Sartre le dernier philosophe* Grasset, 1991
- Sartre sous la dir de Maurice Béne*, catalogue de l'exposition « Sartre »  
 présentée à la Bibliothèque nationale de France 18 mars - 31 août 2003,  
 Gallimard, 2003
- Sendyk Siegel Liane. *Sartre Images d'une vie* Gallimard, 1978
- Sicard Michel. *Sartre et les arts*, Olibris, 1981
- Simoni Juliette. *Jean-Paul Sartre un demi-siècle de théorie* Bruxelles, De  
 Boeck Université, 1998
- Verstraeten Pierre. *Violence et échapper* Gallimard, 1972.



## أبحاث عن سارتر

صيف عام 1979، وبعد ندوة عن «سارتر» في «Corisy-la-Salle»، وبدعوة من جنيفاي إيت (Idi) وميشال كونتا، وميشال ريبالك، صدرت مجموعة الدراسات السارترية. ومنذ ذلك الوقت وكل عام قرابة ذكرى ميلاد سارتر في 21 حزيران/يونيو تجتمع هذه اللجنة في السوربون ليومي عمل. يشارك العديد من الجامعيين الأجانب في هذه النقاشات ويصدر عنها نشرة باسم «L'année Sarterienne». تطبع في هذه المناسبة، وينشر فيها تلخيصات تتناول كل ما يتعلق به في فرنسا وفي العالم. ثمة العديد من المجتمعات السارترية (الولايات المتحدة، بريطانيا، بلجيكا، البرازيل، إيطاليا، اليابان وألمانيا إلخ)، التي تتبع تطور الأبحاث السارترية وتبادل الأعمال بطريقة منتظمة. كما نجد العديد من مواقع الإنترنت التي تتناول سارتر وأشهرها [www.jpsarter.org](http://www.jpsarter.org) وهذه تلخص كل المطبوعات وكل الأحداث السارترية من كل أنحاء العالم.



## المحتويات

5	مقدمة المترجم .....
9	تمهيد .....
11	الفصل الأول: تيفيه، مونتريال وبرازيليا .....
	الفصل الثاني: نحو مقارنة شاملة
19	للمشروع السارترى .....
	الفصل الثالث: سيرة تكوّن الأبله أو الخيالي
25	بوصفه تحديداً مفصلياً .....
31	الفصل الرابع: الخط البياني لإنتاج غير نعطي .....
	الفصل الخامس: الإلزام وبريفورد
41	أو رفض القديم .....
49	الفصل السادس: الأداة الفلسفية الكلية القدرة .....
55	الفصل السابع: الوريث العدم .....
	الفصل الثامن: استكشاف الهوامش
61	والثقافات الأخرى .....



	الفصل التاسع: «الاعتراض طريقة الفهم الوحيدة»
71	مفهوم آخر في نقل المعرفة
83	الفصل العاشر: التفكير في الحديث
	الفصل الحادي عشر: سنوات الحرب:
91	لا خائن ولا بطل
99	الفصل الثاني عشر: الستاليني المعتدل
	الفصل الثالث عشر: حرب الجزائر
111	وبدايات مناضل العالم الثالث
	الفصل الرابع عشر: التفكير
123	في مستقبل الثقافة الغربية
129	الفصل الخامس عشر: تطوير ثقافة بديلة
139	خاتمة
143	الهوامش
149	معالم بيوغرافية
153	بيبليوغرافيا
157	أبحاث عن سارتر